البيان والإعجاز

في تفسير أولى ما قيل

في آيات التنزيل

لرشيد الخطيب الموصلي



تأليف
أ.د. عقيد خالد العزاوي
الجامعة المستنصرية
مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية

دار العصماء
دار رواد المجد

البيـــان والإعجاز في التأويل
في تـفسـير أولى ما قيــل في
آيـات التنـزيـل
لـرشـيد الخطيب الموصلي

تأليف

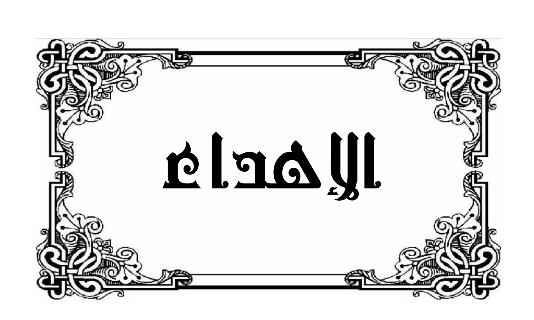
أ. د. عقيــد خــالد حمــودي العـزاوي
الجامعة المستنصرية /
مركز المستنصريّة للدراسات العربيّة والدوليّة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾

صدق الله العظيم

«سورة آل عمران: الآية ١٣٨»



الى . . . من بذلوا أرواحهم في سبيل الله – شهداء العراق –
لتشرق شمس الحرية على بلادي .

أُهدي لهم كتابي هذا

المؤلف

المقدمــة

الحمدُ لله الذي كثرت آلاؤه عن الإحصاء، وجلّت نعمه عن الجزاء، تفضَّل على عباده بالنِعم، لا يريد منهم سوى شكرها؛ ليتفضل عليهم بالمزيد منها: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم: ٧].

نحمدهُ حمداً يليق بجلاله وعظمته؛ أنزلَ علينا خيرَ كُتُبه، وأرسلَ إلينا أفضلَ رُسُلهِ، وجعلنا من خيرِ أُمةٍ أخرجتْ للناسِ، من غير حولٍ ولا قوة، فله الحمدُ حتى يرضى، ولهُ الحمدُ بعد الرِضا.

الهي لك الحمدُ الذي أنت أهلُــهُ على نِعَمٍ ما كنتُ قطُّ لها أهلا

متى ازددت تقصيراً تــزِدْني تفــضُّلاً

كأنّي بالتقصيرِ استوجِبُ الفَــضْلا[1]

والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله وصفيّه من خلقه، خير الأوّلين والآخرين، إمام المجاهدين وقائد الغر المحجلين، محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمّا بعدُ...

فلمّا كان كتاب الله خير الكتب، وبيانه أعلى بيان، كانت خدمته من أجلِّ الأعمال وأرفعها، وأعلى القرب وأسمقها، ولهذا قمت بجمع هذه المباحث المتعلقة ببيان القرآن الكريم، الذي أعجز فطاحل العرب بلفظه، وأعياهم بسبكه فكان اختيارنا لتفسير مهم جداً درسنا فيه وجه إعجاز القرآن البياني ولعالمٍ كبير لم يأخذ حظَّه من الدراسة فضيلة الشيخ رشيد

(١) ديوان محمود الوراق : ١٠٨.

الخطيب الموصلي في تفسيره (أولى ما قيل في آيات التنزيل) أوضحنا فيه بلاغة البيان القرآني.

وبيد أنَّه مع تطاول الأزمنة، وانحراف الألسنة وطغيان اللكنة، افتقد الناس الذوق الذي به يتذوقون كلام الله، ويفهمون أبعاده ومراميه، ومظاهر إعجازه ومبانيه. من هنا تأتي أهمية هذا الكتاب، والذي فيه يحس القارئ بالظلال الوارفة لكتاب الله، ويعيش لحظات مليئة بالجمال والروعة والفائدة، ويدرك جزءاً من مظاهر إعجاز القرآن الكريم، وبعدا من أبعاد البيان القرآني.

ولاشك إنَّ الحرص على هذا الموضوع، كان بسبب من الأهمية الخاصة الذي يحتلها بحث من هذا القبيل.

ومن هنا تكمن أهمية البحث؛ إذ يشخص موقف علم من أعلام المدرسة البلاغية العراقية، وهو الشيخ رشيد الخطيب الموصلي -رحمه الله- أنَّ الأسباب السابقة تتعاون لتعطي هذا الموضوع أهميته، وهي نفسها الدوافع التي حفّزت الباحث على اختيار الموضوع، والكتابة في ميدانه.

وقد اخترت تقسيم البحث الى فصول، جاء تقسيمها كالآتي: بعد المقدمة يأتي التمهيد الذي تناولتُ فيه لمحة موجزة عن حياة الشيخ رشيد الخطيب مولده، نشأته، وآثاره العلمية.

وجاء الفصل الأول؛ إذ تناولت فيه علم المعاني عند الشيخ رشيد، كالخبر والإنشاء والتقديم والتأخير، والحذف والذكر والقصر، والإيجاز والأطناب، والفصل والوصل.

أما الفصل الثاني تناولت فيه صور البيان، مبيناً رأي الشيخ رشيد في التشبيه ومتنقلاً منه الى المجاز العقلي وعلاقاته، ثم الى المجاز اللغوي بقسميه:

المرسل والاستعارة، وأخيراً كان الحديث عن الكناية والتعريض.

أما الفصل الثالث فتناولت فيه ألوان البديع المعنوية واللفظية التي عرض لها الشيخ رشيد الخطيب، مثل المشاكلة واللف والنشر، والمقابلة والإلتفات وأنواعه، وتأكيد المدح بما يشبه الذم، والتورية وحسن التعليل وأسلوبه الحكيم، والإبهام والفاصلة القرآنية ثم خاتمة وأهم نتائج البحث وقائمة المصادر والمراجع.

ومهما يكن من شيء فأنا أقدم هذا الجهد إسهاماً متواضعاً في خدمة كتاب الله تعالى الذي تفانى علماؤنا السابقون والمحدثون -ومنهم صاحب التفسير الخطيب الموصلي- في خدمته والذود عنه، وشرحه ودراسته، وبيان ما لبلاغته ونظمه من سمو وإعجاز، يبتغون بذلك وجه الله العلي العظيم، والله عنده حسن الثواب، وإليه المآب.

❑ هدف الدراسة:

١- هي الكشف والبيان لكثير من المباحث والاساليب والصور البلاغية، وكذلك الظواهر التي امتاز بها تفسير الخطيب الموصلي، ثم الوقوف عليها وسبر أغوارها، ومعرفة الإعجاز القرآني والبياني في تفسير (أولى ما قيل في آيات التنزيل).

٢- إظهار قدرة علماء امتنا ممن خدموا القرآن الكريم، وأرفدوا تراثنا بالكثير من المؤلفات والعلوم، أخص منهم عالمنا الخطيب الموصلي الذي لم يأخذ حَقّه من الدراسة والبحث.

٣- البحث دراسة جادّة وجديدة بحسب علم الباحث؛ اذ لم يدرس من جوانبه البيانية والبلاغية، على الرغم من كثرة فنون هذا العلم في

تفسيره، فكان من الواجب الشرعي والعلمي، دراسته وبيان مقدرته للقارئ الكريم والله وراء القصد.

❑ مشكلة البحث الدراسة:

تقع مشكلة الدراسة في التفسير نفسه؛ اذ طبع على شكل اجزاء متفرقة، ولم يطبع دفعة واحدة، فضلا عن تأخر كل طبعة عن التي تليها من أجزاء التفسير، وزيادة على كثرة الأَخطاء الطباعية والفنية مما أثرت على مادة الموضوع العلمية، وعزوف كثير من الدارسين عنه، ولقلة المطبوع منه في المكتبات؛ إذ لم تكن نسخ طبعه متساوية من حيث الأَجزاء لإختلاف أوقات طبع أجزائه كل تلك الأسباب وغيرها أثرت على المؤلف مما جعله أن يعيد النظر في تفسيره، فوضع زيادات قد فاتته في اثناء مراجعته للتفسير المطبوع، وحذف بعض المعلومات واستدراكه على ما فاته من معانٍ، وشرح لطائفةٍ من القضايا التي يجب الوقوف عندها. ثم أوصى رحمه الله بأن يعاد التفسير على ما استدرك من اضافات؛ لأنَّه لم يُكملهُ بعد أن اقعده المرض طويلاً. ثم قامت كلية الإمام الأعظم مشكورة بتوزيع أجزاء التفسير على طلبتها في الدراسات العليا لتحقيقه وضبطه وتكملة الزيادات وحذف الموصى به. فتَّم ذلك والحمد لله ونوقشت جميع رسائل التفسير الموزعة على الطلبة ، فكان اعتمادنا على ما ذُكِر من المطبوع، وإنْ أشكل علينا النص رجعنا الى الجزء المحقق. هذه كانت أبرز مشكلة واجهت الدراسة ، والله المستعان وعليه التُّكُلان.

أ. د. عقيد خالد حمودي العزاوي

بغداد

❧☙

التمهيد

سيرته[*]

المطلب الأول: اسمه ونسبه وولادته

هو الأستاذ الشيخ رشيد الخطيب الموصلي وابن العلامة صالح الخطيب، ابن الحاج طه الطائي الخطيب، بن الحاج محمود، ابن الحاج مراد الطائي الحرثي نسباً وقبيلةً[1]. إذن هو من قبيلة طي العربية المعروفة[2].

واكتسبت الأسرة لقب الخطيب، من جد الشيخ الحاج طه، الذي كان مشهوراً بالخطابة المؤثرة في النفس، والمالكة للمشاعر، والمؤثرة على الأفئدة[3].

وأما نسبته: الموصلي، الذي يحرص على إلحاقها باسمه في كل كتاباته ومؤلفاته فيبدو أنه اعتزازاً منه ببلدته، التي لُقِّبَ بها قبله غير واحد من أهل العلم[4].

(*) اعتمد الباحث أغلب ما كتب عن حياته من الباحث خالد محمد حمّاش في رسالته (منهج رشيد الخطيب الموصلي في تفسير القرآن الكريم، مع بعض الإضافات والاختصارات).

(١) مخطوط للشيخ رشيد يعرف به نفسه، ويعدد مؤلفاته، مؤلف من أربع صفحات وعليه توقيعه، ص١، وهو مخطوط عند حفيده أثيل عبد العزيز النجيفي، وينظر: تاريخ علماء الموصل: ٨٢/١.

(٢) ينظر: رسالة في مواضيع مهمة، رشيد الخطيب، ص٦٦، وينظر: منهج رشيد الخطيب الموصلي في تفسير القرآن الكريم، ص١.

(٣) ينظر: مخطوط للشيخ رشيد يترجم فيه لنفسه ولشيخه ولأبيه ولجده، ص٤، وينظر: منهج رشيد الخطيب الموصلي في تفسير القرآن الكريم، ص١.

(٤) منهج رشيد الخطيب الموصلي في تفسير القرآن الكريم، ص١.

وكانت ولادة الشيخ -رحمه الله- ليلة الجمعة آخر جمادي الأولى سنة ١٣٠٣هـ، الموافقة لسنة ١٨٨٦م[1].

المطلب الثاني: نشاته العلمية ووظائفه وأهم شيوخه:

نشأ -رحمه الله- تحت رعاية أبوين صالحين، في بيت معروف بحب العلم والمعرفة، فأبوه عالم كبير، قال عنه رشيد الخطيب: «العلامة الجليل الشيخ صالح أفندي ابن الحاج طه الخطيب، درس العلوم على أوحد زمانه وفريد أوانه الشيخ عبد الله أفندي العمري[2] الملقب برئيس العلماء في الموصل الحدباء... وأعطاه الإجازة العالمية، وكان عمره؛ إذ ذاك نيِّفاً وعشرين سنة»[3].

تعلم الشيخ الخطيب القراءة والكتابة ودرس القرآن الكريم ومبادئ العلوم على بعض علماء الموصل، ولازم الشيخ محمد الرضواني[4] في مدرسته (الرضوانية) وتخصص في علوم الشريعة، وأخذ منه الإجازة العالمية عام ١٣٢٩هـ، وقرأ عليه علوم العربية، والمنطق، وعلم الكلام، وأصول الفقه،

(١) المصدر نفسه، ص٣.

(٢) عالم فاضل من علماء الموصل، لقبه السلطان عبد الحميد (باشعالم). رسالة في مواضع مهمة، ص٦٨.

(٣) رسالة في مواضع مهمة، ص٦٨.

(٤) وهو من أشهر علماء الموصل، ولد عام ١٢٦٩هـ في الموصل، ودرس العلوم المنقولة والمعقولة على الشيخ صالح الخطيب، وأخذ عنه الإجازة العالمية، وأخذ إجازات أخرى في بعض الأدعية والأذكار في أثناء أدائه لفريضة الحج، مارس مهنة التدريس، وتخرج عليه عدد كبير من علماء الموصل وأفاضلهم، توفي في ١٣٥٨/٥/٧هـ في الموصل. ينظر: تاريخ علماء الموصل: ١/١٢-١٥، والإمداد شرح منظومة الإسناد: ٦٢/٢.

والحديث، والفرائض، ودرس الحساب والجبر والهندسة والفلك على الأستاذ أمجد العمري، وقال الشيخ -رحمه الله- عن ولادته ودراسته ونشأته: «كانت ولادتي سنة ١٣٠٣هـ، وبعد أن درست القرآن دخلت الكتاب، فتعلمت الكتابة والقراءة ثم قرأت مبادئ العلوم على بعض علماء الموصل، حتى إذا تذوقت طعم العلم، لازمت تدريس الأستاذ محمد الرضواني الذي يغني اسمه عن وصفه، ولم أزل أدرس عليه العلوم المقررة في المدارس الأهلية حتى أكملت المنهج المعروف للعالمية، وأخذت منه الإجازة العالمية، وكان ذلك سنة ١٣٢٩هـ فقد قرأت عليه العلوم العربية: النحو والصرف والبلاغة، ثم قرأت عليه المنطق والكلام وأصول الفقه والحديث والفرائض»[(١)].

وأدى به هذا التنوع المعرفي إلى الإعجاب بآراء المصلحين من أمثال جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ومحمد رشيد رضا، إلى جانب إلمامه بالمذاهب الأربعة وأصول الدين، وانخرط في سلك التدريس وعين مدرساً للغة العربية في المدرسة الثانوية وقضى في ذلك نيفاً وعشرين سنة، واختير مفتشاً للغة العربية عام ١٣٤٠هـ، وأصبح عضواً للمجلس العلمي في مديرية الأوقاف في الموصل[(٢)]، واعتزل العمل الوظيفي وأنشأ مدرسة في بيته يُدرِّسُ فيها طلاب العلم، عُرِفَ رشيد الخطيب بالميل إلى الاجتهاد في المسائل الشرعية واستنباطها من مظانها الأصلية، وشرع إلى التجديد في أساليب التعلم، ولم يجد على السبل السائدة في التعليم آنذاك إيماناً منه بأنَّ الأساليب

---

(١) مخطوط للشيخ رشيد يعرف به نفسه، ص١، وينظر: منهج رشيد الخطيب الموصلي في تفسير القرآن الكريم، ص٤.

(٢) ينظر: منهج رشيد الخطيب الموصلي في تفسير القرآن الكريم، ص٦، و٨.

التقليدية لا تدفع إلى الرُقيّ العلمي والاجتماعي، وكان طموحاً بأن يجد بلده متميزاً وحرياً بأن يكون بلداً مسلماً آخذاً بالتطور والتجديد والتآلف كما توحي به الأصول الإسلامية.

المطلب الثالث: تلامذته

أخذ عن الشيخ رشيد تلامذة كثيرون، فقد أمضى عمراً يقارب المائة في تحصيل العلم فهو لا يجد المتعة إلا في العلم والتعليم، ونشر العلوم المختلفة، ومن أشهر تلامذته الذين طالت صحبته وتلمذته لهم:

١- الشيخ إسماعيل مصطفى الكتبي (١٩٠٢-١٩٦٦م)، درس عند الشيخ تفسيره وعلوم البلاغة والمنطق والفقه على المذاهب الأربعة، وأصول الفقه والفرائض وشيئاً من علم الفلك ثم أخذ منه الإجازة العالمية[١].

٢- الشيخ شمس الدين عبد العزيز سيد حاتم، المولود سنة ١٩٣١م[٢].

٣- الشيخ صالح عارف البامرني: ولد سنة (١٣٣٢هـ)، الَّذِي درس العلوم العربية والشرعية فِي شمال العراق، وَفِي بداية الستينات هاجر مع أسرته إِلَى الموصل لأحداث الشمال، فالتحق بدروس الشيخ رشيد، وحصل مِنْهُ عَلَى إجازة العالمية، وكانت وفاته (١٩٨٨م)[٣].

٤- الشيخ ذنون بن يوسف البدراني: ولد سنة ١٣٥٣هـ في الموصل قرأ القرآن في الكتاتيب وقرأ على عدد من العلماء ومنهم الشيخ رشيد الذي قرأ عليه تفسيره مرتين فأجازه وأعطاه إجازة العالمية، وكان يشغل وظيفة

---

(١) ينظر: تاريخ علماء الموصل: ٢/٧٨-٨١.

(٢) ينظر: تاريخ علماء الموصل: ٢/٦٢.

(٣) ينظر: الإمداد شرح منظومة الإسناد: ٢/٣٨-٣٩.

الإمامة والخطابة والوعظ وإلقاء دروس التفسير والفقه وغيرهما في جامع الخلفاء الراشدين[1].

٥- الشيخ إبراهيم النعمة: ولد عام ١٩٤٣م، وهو من أسرة (آل نعمة) المعروفة بالعلم والفضل أخذ العلم عن عدد من العلماء، ومنهم الشيخ رشيد الخطيب الذي درس عليه مدة خمس سنوات حصل فيها على إجازة العالمية، فضلاً عن دراسته في المدارس الرسمية الحكومية، حتى أنهى الدراسة الإعدادية في سنة ١٩٦٤م ثم دخل في كلية الإمام الأعظم وتخرج فيها عام ١٩٧٣م، تصدر للتدريس والخطابة في مساجد الموصل، وله العديد من المؤلفات في العقائد، والعبادات، وعلوم القرآن، والحديث وهي مطبوعة ومتداولة[2].

وللشيخ كثير من التلاميذ بسبب طول المدة التي أمضاها في التدريس، واقتصرت على ذكر أشهرهم.

المطلب الرابع: آثاره العلمية

خَلَّف الشيخ رشيد -رحمه الله- العديد من المؤلفات، في مختلف نواحي العلم والمعرفة، في التفسير، والحديث، والفقه، واللغة. وهذه المؤلفات تنبئ عن عظيم مكانته في العلم ورفعة شأنه، ومنها ما هو تأليف ومنها مخطوط، وهي مُصنفة على ما يأتي:

➢**أولاً: التفسير**

وله في ذلك ما يأتي:

---

(١) ينظر: المصدر نفسه: ٢/٧٦-٧٧.

(٢) ينظر: منهج رشيد الخطيب الموصلي في تفسير القرآن الكريم: ص٩-١٠.

١- تفسير القرآن الكريم المسمى (أولى ما قيل في آيات التنزيل)[1].

٢- تفسير آيات من سورة الإسراء والأنفال يقع في (٢٢) صفحة من القطع المتوسط، وهو مخطوط بحوزة حفيده أثيل.

٣- تفسير سورة الحجرات يقع في (١٩) صفحة من القطع المتوسط، مطبوع سنة ١٣٥٩هـ.

٤- تفسير جزء من سورة البقرة في (٤٠) صفحة متوسطة، مخطوط بحوزة تلميذه الشيخ إبراهيم النعمة.

٥- تفسير سورة الحجرات، والإسراء، والصف، والأنفال، والأحزاب، يقع في (٣٨) صفحة صغيرة، مخطوط بحوزة تلميذه الشيخ إبراهيم النعمة.

٦- تفسير سورة لقمان، كراسة تقع في (٢٩) صفحة من القطع المتوسط، مخطوط بحوزة حفيده أثيل والشيخ إبراهيم النعمة.

٧- مبسط لعدد من السور، مخطوط في (٥١) صفحة صغيرة بحوزة الشيخ إبراهيم النعمة.

٨- مختارات من تعليقات على بعض الآيات، مخطوط من (٢٥٠) صفحة صغيرة بحوزة الشيخ إبراهيم النعمة.

---

(١) يوحي العنوان إلى ما جاء به الشيخ من تفسير هو (أولى ما قيل) وأعتقد أن هذا اجتهاد منه وحسب، وهذا التفسير طبع في مطبعة جامعة الموصل في تسعة أجزاء ثم أجريت عليه بعض الإضافات من قبل المؤلف قبل موته، وقامت كلية الإمام الأعظم مشكورة بجهد كبير؛ إذ قسمت أجزاء التفسير لطلبة الماجستير والدكتوراه لإعادة تحقيقه ودراسته وفي نيتها طبعه طباعة علمية حديثة خالية من الأخطاء. وهو موضوع بحثنا.

٩- مختصر التفسير، كتبه قبل كتابة تفسيره ويقع في (١٠٠٠) صفحة من القطع المتوسط، وهو مخطوط بحوزة حفيده أثيل النجيفي.

➢ثانياً: الحديث

وله في ذلك ما يأتي:

١- المنتخب من الأحاديث النبوية، وهو مخطوط في (١٠٨) صفحة من القطع المتوسط بحوزة حفيده أثيل.

٢- مختارات الصحاح: هو نخبة من الأحاديث الصحيحة الستة المختارة. ويقع في جزأين الأول في (٢٠٧) صفحة والثاني في (٣٠٦) صفحة من الحجم المتوسط، وهو مخطوط بحوزة حفيده أثيل النجيفي.

➢ثالثاً: العقائد والكلام

وله في ذلك ما يأتي:

١- بحث في التصوف، مخطوط من (١٨) صفحة صغيرة بحوزة الشيخ إبراهيم النعمة.

٢- بحث في الممكن والموجود، مخطوط من (٧) صفحات صغيرة بحوزة الشيخ إبراهيم النعمة.

٣- رسالة في علم العقائد، طبعت سنة ١٩٦٥م في مطبعة الجمهورية عدد الصفحات (٥٨) من الحجم المتوسط.

٤- الأنبياء، يقع في (٩) صفحات صغيرة وهو مخطوط بحوزة حفيده أثيل.

٥- رسالة في علم الكلام، مخطوط في (٧) صفحات صغيرة الحجم بحوزة الشيخ إبراهيم النعمة.

➢رابعاً: اللغة

وله في ذلك:

١- مختصر الوسيط، يقع في (١١٤) صفحة متوسط، وهو مخطوط بحوزة حفيده أثيل.

٢- رسالة في معاني الحروف وقيام بعضها مقام بعض في الاستعمال مع بعض مختزلات تقع في (٧٦) صفحة صغيرة، مخطوط بحوزة حفيده أثيل.

٣- ما لا يستغني عنه الكاتب والأديب من ألفاظ اللغة وخصائص التركيب، يقع في (٣) صفحات صغيرة، وهو مخطوط بحوزة حفيده أثيل.

➢خامساً: البلاغة:

وله في ذلك:

١- مختصر البلاغة، يقع في (١٢٧) صفحة من القطع الصغير، وهو مخطوط بحوزة حفيده أثيل.

٢- بحث في البلاغة (الاستعارة)، مخطوط من (٢٢) صفحة صغيرة بحوزة حفيده أثيل.

٣- حسن الصنيع في البديع، مخطوط في (٨٥) صفحة من القطع المتوسط بحوزة حفيده أثيل.

➢سادساً: الفقه وأصوله

وله في ذلك ما يأتي:

١- تعليقات على رسالة الشافعي، مخطوط في نحو (١٠) صفحات من القطع المتوسط بحوزة حفيده أثيل.

٢- رسالة في الخراج، مخطوط في (٢٤) صفحة متوسطة الحجم بحوزة حفيده أثيل.

٣- تعليق على كتاب أحكام الوقوف لعلي حيدر أفندي، مخطوط يقع في (٦٩) صفحة صغيرة الحجم بحوزة الشيخ إبراهيم النعمة.

٤- رسالة في أصول الفقه، يقع في (٦١) صفحة من القطع المتوسط بحوزة حفيده أثيل.

٥- أرباب الحديث وأرباب التشريع الإسلامي، مخطوط في (١٦) صفحة صغيرة بحوزة الشيخ إبراهيم النعمة.

➢سابعاً: التربية والتعليم

وله في ذلك:

١- أسئلة وأجوبتها في علوم العقائد والبلاغة والزكاة والعبادات وأصول الفقه والتصوف، يقع في (١٢٠) صفحة صغيرة، مخطوط بحوزة الشيخ إبراهيم النعمة.

٢- إرشادات مهمة للمعلم وللتلميذ، وما يجب أن تكون العلاقة بينهما. ويقع في (٢٠) صفحة من القطع الصغيرة، مخطوط بحوزة حفيده أثيل.

٣- أسئلة الامتحانات للأئمة والخطباء. ويقع في (١٠٩) صفحة من القطع الصغيرة، مطبوع في مطبعة الجمهور بالموصل سنة ١٩٦٨م.

وهناك الكثير من المؤلفات في الفقه وأصوله والعقائد والكلام وفي اللغة والبلاغة والآداب والقصص والأخبار والمواعظ ومؤلفاتٍ متفرقاتٍ[1].

---

(١) من أراد الوقوف عليها يُراجع منهج رشيد الخطيب في تفسير القرآن الكريم، ص١٦-٢٥، واولى ما قيل : ١٢/٧.

المطلب الخامس: وفاته

أمضى الشيخ رشيد حياةً حافلة بالعلم والتعليم والتأليف وَقَدْ جعل مِنْ بيته مدرسة لتدريس العلم حتى وَهُوَ فِي سنة التسعين مِنْ عمره يفتح بابه لطلابه جاهداً في تعليمهم حتى أقعده المرض عن مواصلة التدريس فانتقل إلى بيت إحدى بناته الأربع ثم انتقل إلى جوار ربه في عصر يوم الاثنين ٣٠ محرم سنة ١٤٠٠هـ الموافق ١٩٧٩/١١/١٩م[١].

❑ إعجاز القرآن في تفسير أولى ما قيل:

من المعروف أنَّ الشيخ رشيد الخطيب لم يضع مؤلفاً خاصاً بقضية الإعجاز في القرآن الكريم، وإنَّما تجلى رأيه في الإعجاز بوساطة تفسيره وتحليله لكتاب الله ﷻ، فكانت آياته كلها خير شاهد وأصدق دليل على إنَّ هذا الكلام الإلهي لا يدانيه كلام غيره مهما سمت بلاغته وعلا بيانه، وإذا كان رشيد الخطيب قد تأثر بما وقف عليه وانتهى إليه السابقون من دراسات حول إعجاز القرآن، فقد جاءت دراسته الخاصة ممثلة في تفسيره (أولى ما قيل في آيات التنزيل) بمثابة التطبيق العملي والشامل لما توصل إليه السابقون من آراء، ومن خلال عرضه لنص القرآن وتفسيره لآياته المحكمات استطاع أن يستخلص منه ما يراه ممكناً من الروعة والإعجاز.

وهو بهذه الروح يعرض لبيان إعجاز القرآن، ويرى أنَّه كتاب معجز من جهات متعددة، وهي:

---

(١) ينظر: الإمداد في شرح منظومة الإسناد: ٧/٩٤-٩٥، ومنهج رشيد الخطيب في تفسير القرآن الكريم (رسالة)، ص٢٦.

أولاً: إعجاز القرآن في نظمه الكريم، ذلك لأنَّ: «القرآن نسيج وحده في ديباجته ونظمه وأسلوبه وصور تراكيبه وما فيهما من ازدحام المعاني»[1]، وصرح أيضاً في ذلك قائلاً: «ويعود ذلك - أي الإعجاز القرآني - إلى صور الأساليب أو التراكيب وما فيها من كلمات مختارة وبلاغة عالية وصياغة عجيبة. تلك الصور التي لا تمت إلى أساليب البشر المعهودة بصلة مهما بلغت من الرقي وعلوِّ الدرجة. فلو اجتمع كل البلغاء على أن يأتوا بتركيب واحد على غرار تلك التراكيب لعجزوا بكليتهم عجزاً كبيراً ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا»[2].

ثانياً: إنَّ القرآن مُعجز في ترتيبه وتناسبه، قال رشيد: «إنَّ القرآن محكم الاتصال والترابط، متين النسج والسّرد متآلف البدايات والنهايات، يقوم بين جملة وآية وسورة تناسب بارع وارتباط رصين وائتلاف بديع»[3].

ثالثاً: وقال رشيد: «ومن إعجازه أنَّه يتلطف مع النفس الإنسانية تارة بالأداء العقلي الرقيق، وتارة بالأداء البياني المقنع، وتارة بالبرهان الملزم الساطع»[4].

رابعاً: تصريحه بشمولية الإعجاز القرآني أيضاً، فقال ما نصه: «القرآن معجز بتراكيبه وأساليبه وأنواع صور تعبيره وبياناته ورفعة علومه وآدابه وجلالة حِكَمِهِ وأحكامه، وسعة معانيه ومدلولاته ودقة إشارته

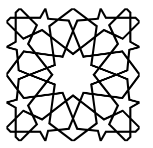
(١) أولى ما قيل، ص١٣ من المقدمة.

(٢) اولى ما قيل: ص١٧٢.

(٣) المصدر نفسه: ص١٥.

(٤) المصدر نفسه: ٤/٢٢٨.

وتلميحاته، وسداد تربيته وتوجيهاته، وصحة سياسته واجتماعياته. تلك التي لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثلها لا يقدرون، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً»[1].



(١) المصدر نفسه: ١/٢٦.

الفَصْلُ الأَوَّلُ

علم المعاني في تفسير أولى ما قيل

الفَصْلُ الأَوَّلُ

علم المعاني في تفسير أولى ما قيل

علم المعاني هو تطبيق عملي لفكرة النظم التي شرح بها عبد القاهر الجرجاني إعجاز القرآن الكريم والتي عرَّف النظم فيها بقوله: «اعلم أنْ ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها»[1].

أي: أنَّ النظم عنده هو تأليف الكلام على وفق أبواب النحو المختلفة، وعليه فإنَّ أهم ما يميز هذا العلم ارتباطه بالنظم النحوي، وقد عُرِفَ (النظم) قبل عبد القاهر، إذ قال عنه الجاحظ قال: «والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي، والقروي والبدوي، وإنَّما الشأن في إقامة الوزن، وتخير اللفظ، وسهولة المخرج، وصحة الطبع، وكثرة الماء، وجودة السبك»[2].

وعُرِف هذا العلم أيضاً عند سيبويه وابن قتيبة والمبرّد والرماني والباقلاني وغيرهم من العلماء والتي كانت آراؤهم بمثابة الخيوط الأولى للفهم الدقيق لعلم المعاني المعتمد على طريقة سبك الكلام.

ومن خلال نظرية النظم تعددت موضوعات علم المعاني مثل: الفصل والوصل، وحروف العطف، والتعريف والتنكير، والتقديم والتأخير، والحذف،

---

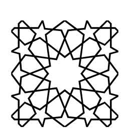
(١) دلائل الإعجاز: ص٦٤.

(٢) الحيوان: ٣/١٣١-١٣٢.

والتكرار، والخبر والإنشاء... وهذه تقسيمات السكاكي الذي جاء بعد الجرجاني. وهذه المباحثُ درسها المفسرون في تفاسيرهم كالزمخشري والقرطبي والبيضاوي وأبي حيان ومفسرنا رشيد الخطيب الموصلي الذي تناول هذه المباحث في تفسيره «أولى ما قيل».

وعلم المعاني فقد عرّفه البلاغيون ومنهم السكاكي بقوله: «اعلم أنَّ علم المعاني هو تتبّع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها من الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره»[1].

أي: هو العلم الذي يبحث أحوال اللفظ مثل التعريف والتنكير والإظهار...، وغير ذلك ويتبين كيف تكون هذه الأحوال واقعة في الكلام موقعاً تطابق دواعي الكلام موقعاً تطابق دواعي النفس. ولم تأتِ زائدة ثقيلة، ولا متكلفة كريهة وهذه الأحوال هي الهيئات والكيفيات.



(١) مفتاح العلوم، ص١٦١.

المبحث الأوّل

الخبر والإنشاء

❑ الخبر:

الخبر (لغة): خبرتُ بالأمر أي: أعلمته، وخبرت الأمر أخبرُهُ إذا عرفته على حقيقته، والخبر –بالتحريك– واحد الأخبار، والخبر: ما أتاك من نبأ عمن تستخبر، والخبر: النبأ، وخبّره بكذا وأخبره: نبأه[(١)].

والخبر في **الاصطلاح**: تناول العلماء المتقدمون هذا المصطلح البلاغي بالبحث والدراسة، منهم المبرد بقوله: «الخبر ما جاز على قائله التصديق والتكذيب»[(٢)]، وبهذا المعنى قال أكثر العلماء الذين جاؤوا من بعده[(٣)].

وأوضح ابن فارس الفرق في تعريف الخبر بين أهل اللغة وأهل البلاغة، فأهل اللغة لا ينظرون إلى الخبر إلا بوصفه إعلاماً للآخرين أما أهل النظر فيقسمونه على كلام صادق أو كاذب يقول ابن فارس: «أما أهل اللغة فلا يقولون في الخبر أكثر من أنه إعلام... والخبر هو العلم. وأهل النظر يقولون: الخبر ما جاز تصديق قائله أو تكذيبه وهو إفادة المخاطب أمراً في ماضٍ من زمان أو مستقبل دائم»[(٤)].

---

(١) لسان العرب، مادة (خبر).

(٢) المقتضب: ٨٩/٣.

(٣) ينظر: قواعد الشعر، لثعلب، ص٢٥، والبرهان في وجوه البيان ، ص١١٣، والصاحبي ، ص١٧٩، والفروق اللغوية ، ص٣٢.

(٤) معجم مقاييس اللغة: ٣٦١/١.

وأخذ القزويني برأي الجمهور فقال: «اختلف الناس في انحصار الخبر في الصادق والكاذب، فذهب الجمهور إلى أنَّه منحصر فيهما ثم اختلفوا، فقال الأكثر منهم: صدقُهُ مطابقة حكمه للواقع، وكذبه عدم مطابقة حكمه له، وهذا هو المشهور عليه التعويل»[1].

❑ أضرب الخبر:

استنبط البلاغيون من أسلوب الكلام ثلاثة أنواع للخبر فإن جاءت الجملة الخبرية خالية من المؤكدات سُميَّ الخبر ابتدائياً، وإذا أُكدت الجملة بمؤكد واحد كان الخبر طلبياً، وإن أكدت الجملة بمؤكدين أو أكثر كان الخبر إنكارياً، قال القزويني في بيان أضرب الخبر: «فإن كان -المخاطب- خالي الذهن من الحكم والتردد فيه استغني عن مؤكدات الحكم، كما قال تعالى حكاية عن رسل عيسى عليه السلام إذ كذبوه في المرة الأولى: ﴿إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ﴾، وفي الثانية: ﴿إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ﴾[2]، ويسمى الضرب الأول ابتدائياً أو الثاني طلبياً، والثالث إنكارياً»[3].

وقد نبّه رشيد في تفسيره على بعضٍ من هذه الصور، منها ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ﴾ [الأنعام: ٩٤]، فقال: «فيؤكد الخبر بلام

(١) الإيضاح، ص١٧، والتلخيص، ص٣٨.

(٢) هذا جزء من قوله تعالى: ﴿إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ١٤ قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ١٥ قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ﴾ [يس: ١٤-١٦].

(٣) ينظر: الإيضاح، ص٢٣.

الابتداء مع إنَّ المجيء قد وقع؛ إذ إنَّ هذا القول يكون يوم القيامة، وذلك بما كان من جحودهم إياه واستبعادهم لوقوعه واستهزائهم به»[1].

ومنه أيضاً مما قاله في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمُۢ﴾ [الأنعام: ١٦٥]، «ومن بلاغة القرآن تأكيد الجملة الثانية باللام دون الأولى؛ لأنَّها في العقاب»[2]. فهذا البيان للمعنى يدل على فهم رشيد الخطيب لهذه الأضرُب.

▫ أغراض الخبر[3]:

للجملة الخبرية غرضان أصليان وضعا باعتبار المخاطب أو المتلقي وهما:

فائدة الخبر: ومعناه أن تفيد الجملة المخاطبة المعنى الذي تحمله؛ لأنَّ المتلقي لا يعرف بالحكم نحو (زيد قائم) لمن لا يعرف.

لازم الفائدة: ومعناه أن تفيد الجملة المخاطبة أنَّ المتكلم عالم نحو: أنت جئت: لمن قام بالمجيء.

ولكن الخبر يخرج عن ظاهر معناه إلى معانٍ باعتبار حال المتكلم وفعل المخاطب فالسبب مرتبط بالنتيجة، والسبب هو فعل المخاطب الذي أدى إلى نتيجة الخبر، فقد يخرج الخبر بلاغياً إلى الإنكار والطلب والتعظيم...

وهذا مجمل ما ذكره العلماء بخصوص الخبر ومعناه وأغراضه وأنواعه، وبعد هذا العرض لابد من دراسة الخبر في تفسير أولى ما قيل لرشيد الخطيب.

---

(١) أولى ما قيل، ص١٦٣ من المقدمة.

(٢) أولى ما قيل: ١٥٣/٣.

(٣) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ٤٧٨/٢.

□ الخبر في تفسير أولى ما قيل:

بحث المفسرون في القرآن الكريم عن الجملة الخبرية وأبرزوا أغراضها البلاغية في أحيان كثيرة، وكان هدفهم من دراسة الخبر ذكر الألوان البلاغية الكامنة في هذا الأسلوب المتنوع، لإيضاح المعاني القرآنية وإظهار إعجاز أسلوب القرآن الكريم، ومن أغراض الخبر التي ذكرها رشيد الخطيب:

١- الخبر للدعاء:

ومن الآيات التي جاء بها الخبر على سبيل الدعاء قوله تعالى: ﴿صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: من الآية ١٢٧]، قال رشيد: «أي: صرف الله قلوبهم عن الاهتداء، بسبب أنَّهم لا يتدبرون ليفقهوا الحق، فهم لا يستعملون عقولهم في ذلك وهذه الجملة للدعاء والخبر معاً، والمغزى واحد»(١).

وهذا المعنى قال به أكثر المفسرين، قال أبو حيان: «صرف الله قلوبهم صيغته خبر، وهو دعاء عليهم بصرف قلوبهم عما في قلوب أهل الإيمان»(٢).

٢- الخبر للبشارة:

ومنه قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [الأنفال: ٦٥]، قال رشيد الخطيب: «ونكتة إيراد هذا الحكم بلفظ الخبر الإشارة إلى جعله بشارة للمؤمنين الفقهاء الصابرين، بأنَّهم يكونون كذلك فعلاً، بفقههم ونظرهم الصائب كما يفهم

---

(١) أولى ما قيل: ٤/١٧٧.

(٢) البحر المحيط: ٥/١٢٠، وينظر: الكشاف: ٢/٣١٠، والجواهر الحسان: ٢/١٤٩.

ذلك من فحوى التعليل بقوله: ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾... ومعنى اللفظ الخبري، أن يوجد منكم عشرون صابرون يغلبوا بتأثير إيمانهم وصبرهم مائتين من الذين كفروا المجردين من هذه الصفات الثلاث والآية تشعر بأنَّ العلم مصدر البسالة والقوة المعنوية...»[1].

وذكر أغلب المفسرين أنَّ الخبر بمعنى الوعد[2].

٣- الخبر للتقرير:

ويأتي الخبر للتقرير نحو قوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ﴾ [المجادلة: من الآية ٢٢]، قال رشيد: «أي: لا تجدهم وادِّين أعداء الله ولو كانوا أقرب أقربائهم. والمعنى لا تجتمع موالاتهم الكفار في الدين مع الإيمان إذا كانت موالاة تجر إلى الضرر في الدين، وصاغ العبارة بصورة الخبر الواضح مبالغة في تقريره»[3].

وقال الشنقيطي: «وردت هذه الآية بلفظ الخبر، والمراد بها الإنشاء»[4]، وهذا ما قاله الماوردي[5].

٤- الخبر بمعنى الأمر:

نحو قوله تعالى: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾ [يوسف: من الآية ٤٧]،

---

(١) أولى ما قيل: ٤/١١١.

(٢) ينظر: الكشاف: ٢/١٦٧، والجامع لأحكام القرآن: ٧/٤٠١، ونظم الدرر: ٨/٣٢٠-٣٢١، والتسهيل: ٢/٦٨، والبحر المحيط: ٤/٥١٦، وأنوار التتريل: ١/٣٩٠، وتنوير الأذهان: ٢/٦٥١.

(٣) أولى ما قيل: ٩/١٣.

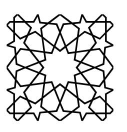
(٤) أضواء البيان، ص١٨٤٩.

(٥) ينظر: النكت والعيون: ٥/٤٩٦.

قال رشيد: «وهذا ضرب من بلاغة الأسلوب والإيجاز لا تجد له مثيلاً في غير القرآن: خاطب أولي الأمر بما لقنَّه للساقي خطاب الآمر للمأمور الحاضر، فأوجب عليهم الشروع في زراعة القمح دائبين عليه دأباً مستمراً سبع سنين بلا انقطاع. فالكلام خبر بمعنى الأمر. وإنَّما يخرج الأمر في صورة الخبر للمبالغة في إيجاب إيجاد المأمور به. والدليل على كونه بمعنى الأمر قوله: ﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ﴾ [يوسف: من الآية: ٤٧]، أي: فكل ما حصدتم منه في كل زرعة فاتركوه أي: ادخروه في سنبله بطريقة تحفظه من السوس بعدم سريان الرطوبة إليه فيبقى الحب لغذاء الناس والتبن لغذاء البهائم والدواب»[1].

وهذا ما ذهب إليه البغوي بقوله: «هذا خبر بمعنى الأمر، يعني: ازرعوا سبعَ سنين على عادتكم في الزراعة»[2].

وقال الرازي: «وهو خبر بمعنى الأمر... وإنَّما يخرج الخبر بمعنى الأمر، ويخرج الأمر في صورة الخبر للمبالغة في الإيجاب فيجعل كأنَّه وجد لكي يخبر عنه، والدليل على كونه في معنى الأمر قوله: ﴿فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ﴾ وقوله: ﴿دَأَبًا﴾»[3]، وهذا ما ذكره الزمخشري والنسفي والماوردي[4].



(١) أولى ما قيل: ٥/٣٣.

(٢) معالم التنزيل: ٤/٢٤٧.

(٣) التفسير الكبير: ١٨/١٢٠.

(٤) ينظر: الكشاف: ٢/٤٤٩، ومدارك التنزيل: ٢/١٩٢، والنكت والعيون: ٣/٤٤.

المبحث الثاني

الإنشـــاء

الإنشاء لغةً: هو الابتداء أو الخلق، أو الابتداع[1].

وهو في **الاصطلاح:** الكلام الذي لا يحتمل الصدق والكذب لذاته، لأنَّه ليس لمدلول لفظه قبل النطق به واقع خارجي يطابقه أو لا يطابقه[2].

وقد علَّل البلاغيون عدم احتمال التكذيب والتصديق في الإنشاء؛ لأنَّه يدل على حدث لم يقع من قبل. وفرقوا بين الخبر والإنشاء اعتماداً على ذلك.

فالقزويني يقول: «ووجه الحصر أن الكلام إما خبر أو إنشاء؛ لأنَّه إما أن يكون لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه أو لا يكون لها خارج. الأول: الخبر، والثاني: الإنشاء»[3].

وينقسم الإنشاء على قسمين: طلبي وغير طلبي:

الطلبي: هو ما يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب، نحو: اعمل خيراً.

غير طلبي: هو ما لا يستدعي مطلوباً نحو: أكلت وشربت، والإنشاء غير الطلبي صيغ كثيرة، كأفعال المدح والذم كنعم وبئس، وكفعلي التعجب وكأفعال المقاربة: عسى واخلولق، وكصيغ العقود: كـــ(بعت واشتريت)، والقسم، واستبعد البلاغيون هذا النوع من مباحث علم المعاني؛ لأنَّ تلك الأساليب أخبارٌ نقلت إلى الإنشاء.

---

(١) لسان العرب، مادة (نشأ).

(٢) ينظر: التعريفات، ص٣٠.

(٣) الإيضاح، ص٨٥، والتلخيص، ص١٥١، والطراز: ٦١/١.

ولنتعرف الآن على أنواع الإنشاء الواردة في تفسير رشيد الخطيب، التي سنتناولها بالدراسة والتحليل، فكلما وردت آية حملت نكتة بلاغية أشار إليها وفسر مقتضاها البلاغي، وما يخرج إليها من مقاصد بلاغية، وإليك التفصيل.

❑ أقسام الإنشاء الطلبي:

أولاً: الأمر:

الأمر في البلاغة طلب فعل الشيء على وجه الاستعلاء، وعرَّفه العلوي بقوله: «هو صيغة تستدعي الفعل أو قول ينبئ عن استدعاء الفعل من جهة الغير على جهة الاستعلاء»(١).

وللأمر أربع صيغ هي:

١- فعل الأمر كقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [النور: ٥٦].

٢- المضارع المقرون بلام الأمر كقوله تعالى: ﴿لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦ﴾ [الطلاق: ٧].

٣- اسم فعل الأمر كقوله تعالى: ﴿عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ [المائدة: من الآية ١٠٥].

٤- المصدر النائب عن فعل الأمر كقوله تعالى: ﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا﴾ [البقرة: ٨٣].

ويخرج الأمر إلى أغراض بلاغية تعرف دلالاتها من سياق الكلام، ومن تلك الأغراض الواردة في تفسير (أولى ما قيل):

---

(١) الطراز: ٣/٣٨١.

۞ ١- الأمر للتهديد والوعيد:

ويأتي الأمر على سبيل التهديد والوعيد كما في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَاۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [الأعراف: من الآية ٨٧]، قال رشيد: «فإن لم يعتبر كفاركم بمعاقبة من قبلهم، فسيرون ما يحل بهم. والأمر بالصبر تهديد ووعيد»(١).

وهذا المعنى ذكره المفسرون ومنهم أبو حيان الذي قال: «ففي قوله فاصبروا قوة التهديد والوعيد هذا ظاهر الكلام وأن المخاطبة بجميع الآية للكفار»(٢) وتبعه الشوكاني(٣). أما الإمام أبو السعود فذكر أنَّ هذا الأمر بمعنى: «وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين»(٤)، في حين اكتفى الآلوسي في ذكر أنَّ هذا الأمر للوعيد فقط(٥).

۞ ٢- الأمر للتكوين:

ويأتي الأمر على سبيل التكوين، وذكره ابن فارس قائلاً: «إنَّه لا يكون إلا من الله سبحانه وتعالى»(٦)، ومنه مما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠]، قال رشيد: «إنَّ إيجاد الله سبحانه للأشياء مجرد إرادة عليه لا معالجة فيها ولا نصب فقال: «إنَّما قولنا لشيء إذا

---

(١) أولى ما قيل: ٤/٣٧.

(٢) البحر المحيط: ٤/٣٤٢.

(٣) ينظر: فتح القدير: ٢/٣٢٧.

(٤) إرشاد العقل السليم: ٣/٣٤٨.

(٥) ينظر: روح المعاني: ٨/١٧٩.

(٦) الصاحبي، ص١٨٥، ومعترك الأقران: ١/٤٤٢.

أردناه أن نقول له كن فيكون» وهذا هو المسمى بالأمر التكويني. والكلام تمثيل لسهولة تأتي المقدورات بأنَّه لا يزيد على تعلق مشيئته تعالى بها، وتصوير لسرعة حدوثها بعد تدرجها في سنن التكوين. وفي الآية إيماء إلى أنَّ الله سبحانه هو الذي يملك سرُّ التكوين، ولا يعلم ذلك السر إلا الله»[1].

٣- الأمر بمعنى الخبر:

ويأتي الأمر بمعنى الخبر ومنه قوله تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: من الآية ٨٠].

قال رشيد: «وعدد السبعين في عرف العرب بمعنى الكثرة. فليس المراد به العدد المعين وليس له مفهوم مخالفة، والمعنى مهما تكثر من الاستغفار لهم فلن يستجاب لك فيهم. والأمر هنا بمعنى الخبر»[2].

وهذا المعنى قال به أكثر المفسرين[3]، وذهب ابن عطية إلى معنى التخيير قائلاً: «استغفر لهم أو لا تستغفر لهم» يحتمل معنيين، أحدهما: أن يكون لفظه أمر ومعناه الشرط بمعنى: إن استغفرت أو لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم فيكون مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ﴾ [التوبة: من الآية ٥٣]، والمعنى الثاني: أن يكون تخييراً كأنَّه قال له: إن شئت فاستغفر وإن شئت لا تستغفر ثم أعلمه أنَّه لا يغفر لهم، وإن استغفر سبعين مرة»[4]،

---

(١) أولى ما قيل: ١٣١/٥.

(٢) المصدر نفسه: ١٥٧/٤.

(٣) ينظر: معاني القرآن، للفراء: ١١١/٢، وجامع البيان: ٢٩٣/١٤، وإرشاد العقل السليم: ٨٧/٤، ومدارك التنزيل: ١٠١/٢، والبحر المحيط: ٧٨/٥، وبحر العلوم: ٧٧/٢، واللباب في علوم الكتاب: ١١٤/١٠.

(٤) المحرر الوجيز: ٧٢/٣.

ورجَّح أن هذا هو الصحيح، وتبعه ابن جزي في ذلك[1].

ومنه أيضاً مما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ﴾ [الطلاق: من الآية ٦]، قال رشيد: «أي: فلترضع له مرضعة أخرى غير أمه، وإنَّما أورد الأمر على صورة الخبر، ليكون فيه تأنيب للأم. والله أعلم»[2].

وقال أبو حيان: «وقيل: فسترضع خبر في معنى الأمر: أي: فلترضع له أخرى»[3]. فالآية عنده ليست أمر في معنى الخبر بل على العكس، وهذا ما ذكره الآلوسي أيضاً[4].

٤- الأمر للتهكم:

ويخرج الأمر لغرض التهكم ومنه مما جاء في قوله تعالى: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ﴾ [الحج: ١٥]، قال رشيد: «أي: فليتوصل إلى السماء وليقطع المسافة البعيدة، وليعارض نصر الله إن قدر، وليشف غليله... والمعنى مبني على العرف العام وهو أنَّ الأمر الذي يأتي من قبل الله يأتي من السماء أي: فليقاوم السماء إن قدر، وقيل: المراد فليدل بحبل يخنق به نفسه ويقطعه وعلى كل، فالآية تمثيل أدبي بليغ مأخوذ من عرف المخاطبين، سيق إغاظة وتهكماً بمن كان يعتقد أنَّ رسول الله ﷺ ضال في دعوته وأعماله الفاشلة»[5].

---

(١) ينظر: التسهيل: ٤٦٨/١.

(٢) أولى ما قيل: ٥٧/٩.

(٣) البحر المحيط: ٢٨١/٨.

(٤) ينظر: روح المعاني: ١٤٠/٢٨.

(٥) أولى ما قيل: ١٢٥/٦-١٢٦.

وإلى هذا المعنى ذهب ابن كثير[1]، فيما أشار ابن عاشور[2] والشنقيطي[3] إلى أنَّ هذا الأمر للتعجيز.

٥- الأمر للدعاء:

يأتي فعل الأمر على سبيل التضرّع وطلب الحاجة، ومن ذلك مما جاء في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨]، قال رشيد: «جعل هذا البيان توطئة للدعاء عليهم فقال: ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ أي: بالآفات والحوائج حتى لا يرى لها أثر. ثم نسق مع الدعاء عليهم بيان تحريفهم لطباعهم ليكون كالتعليل الضمني له، وأخرجه مخرج الدعاء، وساق مساقه فقال: ﴿وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ أي: بما أحاطت بها خطيئاتهم حتى أفقدوها نورها واستعدادها للهدى والرشاد... وإنَّما أخرجه مخرج الدعاء ونسقه معه، مبالغة في إظهار اليأس منهم»[4].

وقال البيضاوي: «دعاء عليهم بلفظ الأمر بما علم من ممارسة أحوالهم...»[5] وهذا ما ذكره الزمخشري[6].

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٢٨٣/٣.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ١٥٩/١٧.

(٣) ينظر: احتواء البيان، ص٩٨٢.

(٤) أولى ما قيل: ٢١٤/٤.

(٥) أنوار التنزيل: ٢١٢/٣.

(٦) ينظر: الكشاف: ٣٤٧/٢.

٦- الأمر للإهانة:

ويخرج الأمر للإهانة ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۝٥٠ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ﴾ [الإسراء: من الآية ٥٠]، قال رشيد: «فأجابهم بجواب صيغ نظمه على الاستهانة بالأمر والاستخفاف به، مهما كان حاله»[١].

و لم أجد من المفسرين من ذهب إلى هذا القول، سوى السمرقندي الذي ذكر أنَّ الأمر في الآية بمعنى الخبر قائلاً: «اللفظ لفظ الأمر ومعناه معنى الخبر، يعني لو كنتم من الحجارة أو من الحديد أو خلقاً مما يكبر في صدوركم»[٢].

٧- الأمر للامتنان:

ويجوز أن يخرج الأمر إلى معنى الامتنان بحسب مقام الكرام ومنه قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ﴾ [الملك: من الآية ١٥]، قال رشيد: «ويتضمن هذا الأمر الامتنان»[٣].

وذكر الآلوسي أنَّ الأمر هنا للإباحة[٤]. وذهب ابن جزي إلى معنى التذكير والأنعام[٥]، في حين قال ابن عاشور: «صيغة الأمر مستعملة في معنى الإدامة والامتنان»[٦].

---

(١) أولى ما قيل: ١٧٧/٥.

(٢) بحر العلوم: ٣١٥/٢.

(٣) أولى ما قيل: ٧١/٩.

(٤) ينظر: روح المعاني: ١٥/٢٩.

(٥) ينظر: التسهيل: ١٣٥/٤.

(٦) التحرير والتنوير: ٣٠/٢٩.

ومنه قوله تعالى: ﴿كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَـٰمَكُمْ﴾ [طه: من الآية ٥٤]، قال رشيد: «ثم زاد التحسيس تمنناً بقوله: «كلوا وارعوا أنعامكم» أي: من هذه المخرجات المباركات المنوعات»(١).

وإلى هذا المعنى ذهب القرطبي(٢) والشوكاني(٣)، وذكر ابن عاشور أن «الأمر للإباحة مراد به المنَّة»(٤).

٢- النهي:

وهو طلب الكفّ عن الفعل، استعلاءً، قال السكاكي: «للنهي حرف واحد وهو (لا) الجازم في قولك: (لا تفعل)، والنهي محذو به حذو الأمر في أنَّ أصل استعمال (لا تفعل) أن يكون على سبيل الاستعلاء بالشرط المذكور فإنْ صادف ذلك أفاد الوجوب وإلا أفاد طلب الترك فحسب»(٥). فالوجوب والإلزام شرطان يلازمان أسلوب النهي ويعنيان وجوب إلزام المخاطب بما ينهي عنه، والسكاكي يوازن بين أسلوب الأمر وأسلوب النهي فيرى أنَّ الأسلوبين يشتركان في اعتبار الاستعلاء والأخير، ونقصد بالآخر أنَّ الأمر والنهي يقصدان الآخر فلا يمكن لإنسان أن ينهي نفسه أو يأمرها.

أما وجه الخلاف بين الأسلوبين فهو أن لكل منهما صيغة خاصة به. «الأمر دالٌّ على الطلب، والنهي دلَّ على المنع، وأنَّ الأمر لابدَّ من إرادة

---

(١) أولى ما قيل: ٦/٦٤-٦٥.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١١/١٩٠.

(٣) ينظر: فتح القدير: ٣/٥٢٩.

(٤) التحرير والتنوير: ١٦/١٣٤.

(٥) مفتاح العلوم، ص١٥٢-١٥٣، وينظر: الإيضاح، ص٢٤٤، وتهذيب السعد: ٣/٤٣.

مأمورة، وأنَّ النهي لابدَّ فيه من كراهية منهيَّة»[1].

ويخرج النهي إلى أغراض مجازية، ومما ورد منها في تفسير أولى ما قيل:

١- النهي للتأكيد والتقرير:

وقد يأتي النهي للتأكيد والتقرير نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الإسراء: من الآية ٣٩]، قال رشيد الخطيب: «ثم عاد إلى الخطاب العام وختم السياق بما بدأه وهو النهي عن الإشراك بالله تأكيداً له وتقريراً، على نهج القرآن في مثله فقال: «ولا تجعل مع الله إلها آخر» تعبده أو تصمد إليه أو تتوسط به أو تتوكل عليه أو تتبع تشريعه وتعليمه»[2].

و لم يقل هذا المعنى سوى الشيخ الجزائري[3].

في حين ذهب أغلب المفسرين إلى أن النهي في هذه الآية هو للتنبيه، قال البيضاوي: «تنبيهاً على أنَّ التوحيد مبدأ الأمور ومنتهاه، وأن من قصد بفعل أو ترك غيره ضاع سعيه، وأنَّه رأس الحكمة وملاكها»[4].

٢- النهي للاحتقار:

ويأتي النهي للاحتقار نحو قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ

---

(١) تهذيب السعد : ٣/٢٤٨.

(٢) أولى ما قيل: ٥/١٧٥.

(٣) ينظر: أيسر التفاسير: ٣/١٩٥.

(٤) ينظر: أنوار التنزيل: ٣/٤٤٧، وينظر: إرشاد العقل السليم: ٥/١٧٣، وروح المعاني: ١٥/٧٧، والسراج المنير: ٢/٢٤.

عَلَيۡهِمۡ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٧-٨٨]، قال رشيد الخطيب: «وبعد أن ذكَّره بهذه النعمة التي لا يماثلها شيء زهَّده في زخارف الدنيا التي أفاضها على المعاندين له والمعارضين لما نزل عليه، لتكون الدنيا من حظهم والآخرة من حظه، وهو أمر يوافق ما في نفسه ﷺ، ولكنه جاء النهي لمجرد المبالغة في التهييج فقال: «لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً» أي: أصنافاً «منهم» أي: من الكفار، ويجوز أن يتعلق بمتعنا. أي: لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به بعض هؤلاء الكفار من أصناف النعم والأنعام والأموال، فإنَّها مستحقرة بالإضافة إلى ما أوتيته من نعمة القرآن، كأنَّه قيل: إنَّك أوتيت هذا القرآن العظيم الذي كل شيء غيره لا شيء فلا تشغل سرك وخاطرك بالالتفات إلى زخارف الدنيا الحقيرة. وهذا ليس على ظاهره؛ لأنَّه ﷺ لا تمتد عينه إلى ذلك، ولكنه إما لشدة البيان عن زهادة زخارف هذه الحياة، وإما نهي للأمة في شخص النبي ﷺ. وذلك على نهج القرآن في أساليبه. ويجوز أن يكون ما كان عليه المسلمون من الفقر والعوز نتيجة مقاطعة المشركين لهم، وهجرهم عن ديارهم وأملاكهم. وما كان عليه الكفار من التمول والغنى. والحروب تحتاج إلى الأموال: كل ذلك يحز في نفسه ﷺ، فوعظه مع إتباعه ﷻ وهون عليه»[1].

وذهب الزمخشري بالقول: «وقد أوتيت النعمة العظمى التي كل النعم وإن عظمت فهي إليها حقيرة ضئيلة وهي القرآن الكريم»[2]، وقال أبو حيان: «ولمّا ذكر تعالى ما أنعم به على رسوله ﷺ من إتيانه ما أتاه نهاه، وقد قلنا أن

---

(١) أولى ما قيل: ٥/١١٨-١١٩.

(٢) الكشاف: ٢/٣٩٧.

النهي لا يقتضي الملابسة ولا المقاربة عن طموح عينه إلى شيء من متاع الدنيا هذا وإن كان خطاباً للرسول ﷺ فالمعنى نهي أمته عن ذلك؛ لأنَّ من أوتي القرآن شغله النظر فيه وامتثال تكاليفه وفهم معانيه»[1]. وعلى ذلك يكون ما ذكره رشيد في تفسير الآية الكريمة موافقاً لما ذكره أبو حيان في كون صيغة النهي هنا موجهة إلى الرسول ﷺ ولكن المراد به أمة الإسلام؛ لأنَّ النهي قد يذكر للجزء ويراد به الكل، فعلى كل مسلم ألا يمد عينيه إلى ما استحسن من مفاتن الدنيا، لأنَّ القرآن يغني عن كل متعة وزخرف للدنيا.

٣- النهي للكراهية:

ويأتي النهي للكراهية نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [الإسراء: من الآية ٣٧]، قال رشيد الخطيب: «ثم نهانا عن الزهو والتكبر والاختيال فقال: «ولا تمش في الأرض مرحاً» أي: مختالاً زاهياً، وهو حال ينبعث عن الإخلال بغريزة حُبّ الكمال، وفسادها بالتربية السيئة والتوجيه الرديء، فيتولد منها الشعور بالترفع والعظمة واحتقار الغير، وهو أمر مضر بالإجماع ضرراً فادحاً»[2]. فصيغة النهي «لا تمش» خرجت بلاغياً إلى معنى الكراهية ودلَّت على هذا المعنى قرينتها «في الأرض مرحاً» فالقرائن اللغوية تعطي غرض اللغة ودلالاتها المعنوية.

وقال القرطبي: «ولا تمش...» هذا نهي عن الخيلاء وأمر بالتواضع. والمرح شدة الفرح وقيل التكبر في المشي. وقيل تجاوز الإنسان قدره. وقال قتادة: هو الخيلاء في المشي، وقيل هو البطر والأثر. وقيل هو النشاط وهذه

(١) البحر المحيط: ٥/٥٤٢.
(٢) أولى ما قيل: ٥/١٧٤.

الأقوال متقاربة ولكنها منقسمة قسمين: أحدهما مذموم، والآخر محمود»[1].

وفسر أبو حيان الآية معتمداً على تفسير الزجاج والزمخشري فقال: «قال الزجاج: «ولا تمش في الأرض مرحاً إنَّ الله لا يحبُّ كل مختال فخور» وقال الزمخشري: «لن تخرق الأرض» لن تجعل فيها خرقاً بدوسك... وهو تهكم المختال»[2] ويضيف أبو حيان قائلاً: «والتهكم: يحمل معاً شيئاً من الكراهية؛ لأنَّ التهكم ينبع من كراهية»[3].

٣- الاستفهام:

الاستفهام لغةً: جاء في لسان العرب: «معرفتك الشيء بالقلب، وفهمت الشيء: عقلته وعرفته، وأفهمه الأمر وفهَّمه إياه: جعله يفهمه، واستفهمه: سأله أن يفهمه، وقد استفهمني الشيء فأفهمته وفهمته تفهيماً»[4].

والاستفهام بلاغياً: هو طلب العلم بالشيء المجهول وهو من صيغ الإنشاء الطلبي. وعرّفه السكاكي بقوله: «والاستفهام لطلب حصول في الذهن، والمطلوب حصوله في الذهن إما أن يكون حكماً بشيء على شيء أو لا يكون، والأول هو التصديق ويمتنع انفكاكه من تصور الطرفين، والثاني هو التصور ولا يمتنع انفكاكه من التصديق»[5].

فإذا كان التردد في الوقوع أو اللاوقوع فهو التصديق وإذا كان التردد

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: ٢٣٤/١.

(٢) الكشاف: ٦٢٤/٢.

(٣) البحر المحيط: ٣٧/٦.

(٤) لسان العرب، مادة (فهم)، وينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ١٨١/١.

(٥) مفتاح العلوم، ص١٤٦.

في المفرد فهو التصور المعنوي كقولنا: «أقام زيد» يكون الاستفهام للتصديق أي: لوقوع الفعل أما إذا قلنا: «أزيد قام أم عمرو؟» يكون الاستفهام للتصور والفرق بين الهمزة التي يطلب بها التصور أو التصديق أن كل ما صلح أن يؤتى بعده بأم المتصلة فهو استفهام عن التصور.

وللاستفهام ألفاظ موضوعة له[1] وهي (الهمزة)، و(هل)، و(ما)، و(من)، و(أي)، و(لم)، و(كيف)، و(أين)، و(أنَّى)، و(متى)، و(أيَّان).

وقد يخرج الاستفهام مجازياً إلى أغراض بلاغية تعرف من سياق الكلام وقرائن الألفاظ قال القزويني: «ثم هذه الألفاظ كثيراً ما تستعمل في معانٍ غير الاستفهام بحسب ما يناسب المقام»[2].

وأهم هذه الأغراض الواردة عند رشيد الخطيب:

١- الاستفهام للتنبيه:

وهو من أقسام الأمر[3]، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ١٧]، قال رشيد الخطيب في تفسير هذه الآية: «وهذا الاستفهام تمهيد لما بعده، يتضمن تنبيهاً وإيقاظاً لما سيريه من العجائب المخالفة لطبيعتها التي هي عليها، والتي يعلمها منها عليه السلام مما عدده لها»[4].

وهذا المعنى البلاغي قاله أبي السعود في تفسيره: «فالاستفهام إيقاظ وتنبيه له -عليه الصلاة والسلام- على ما سيبدو له من التعاجيب»[5].

(١) ينظر: الإيضاح: ١/٢٢٨.

(٢) الإيضاح: ١/٢٣٤.

(٣) معجم المصطلحات البلاغية: ١/١٩١.

(٤) أولى ما قيل: ٦/٥٩.

(٥) إرشاد العقل السليم: ٦/٩.

وذهب الخازن إلى أَنَّه: «سؤال تقريع والحكمة فيه تنبيهه على إنَّها عصا حتى إذا قلبها حية علم أنَّها معجزة عظيمة»[1].

في حين ذهب أغلب المفسرين إلا أنَّ الاستفهام في هذه الآية الكريمة هو استفهام تقرير[2].

٢- الاستفهام للاستبطاء:

يخرج الاستفهام إلى معنى الاستبطاء نحو قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ﴾ [الشعراء:٣٩]، قال رشيد: «وهذا استفهام أخرج مخرج الاستبطاء، وفي طياته إغراء، وحمل على التجمع»[3].

وإلى هذا المعنى ذهب أكثر المفسرين[4]، قال أبو حيان في معرض تفسيره للآية: «استبطاء لهم في الاجتماع، والمراد منه استعجالهم، كما يقول الرجل لغلامه: هل أنت منطلق؟ إذا أراد أن يحرك منه ويحثه على الانطلاق»[5].

٣- الاستفهام الإنكاري:

ويخرج الاستفهام إلى معنى الإنكار نحو قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ [هود: من الآية ١٣]، قال رشيد الخطيب: «واختار الأستاذ الإمام

---

(١) لباب التأويل: ٢٦٦/٤.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٢٧٩/٥، والتسهيل: ١٧٠/٢، والمحرر الوجيز: ٥٠/٤، وأيسر التفاسير: ٣٤٣/٣، والبحر المديد: ٦٨٨/٤.

(٣) أولى ما قيل: ٢٢٥/٦.

(٤) ينظر: الكشاف: ٣١٧/٣، ومدارك التنزيل: ١٨٤/٣، وإرشاد العقل السليم: ٢٤٢/٦، وأنوار التنزيل: ٢٣٧/٤، والسراج المنير: ٣٣/٣.

(٥) البحر المحيط: ١٥/٧.

أنَّ (أم) في أول الكلام تكون للاستفهام. وهو هنا للإنكار. والمعنى: أيقولون أنَّ محمداً افترى هذا الكلام»[1]. حاشاهُ.

وهذا ما ذهب إليه الآلوسي وابن عاشور[2]، وقال أبو السعود: «الهمزة للتوبيخ والإنكار والتعجيب»[3]، وذهب الشوكاني إلى أن: «الاستفهام للتوبيخ والتقريع»[4]، ولم يصرح الطبري بالاستفهام وإنَّما اكتفى بتقديره قائلاً: «ويعني تعالى ذكره بقوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ أي: أيقولون افتراه؟»[5]. وذكر رشيد أمثلة متعددة في تفسيره[6]. وهذا الإنكار يأتي على أنواع بلاغية متعددة ذكرها المفسرون ومنهم مفسرنا رشيد الخطيب، ومن هذه الأنواع:

أ – الاستفهام الإنكاري الهازئ:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الملك: ٢٠]، قال رشيد الخطيب: «بمعنى: أي: جند لكم ينصركم مني، فالاستفهام إنكاري هازئ مُسفِّه لهم كأنَّه –سبحانه– يقول لهم: بأي قوة تعصونني: ألكم جند يدفع عنكم عذابي غير رحمتي، وأتى بكلمة الذي ليتناول الفرد»[7].

---

(١) أولى ما قيل: ٢٢٧/٤، وينظر: تفسير المنار: ٢٣٨/٧.

(٢) ينظر: روح المعاني: ٢٠/١٢، والتحرير والتنوير: ٢١٨/١١.

(٣) إرشاد العقل السليم: ١٩١/٤.

(٤) فتح القدير: ٧٠٢/٢.

(٥) الجامع لأحكام القرآن: ٢٥٩/٥.

(٦) ينظر: أولى ما قيل: ١٩٦/٤، ١٢٤/٩، ٢١١/٩.

(٧) أولى ما قيل: ٧٢/٩.

وذكر أبو السعود أنَّ الاستفهام للتبكيت[1]، واقتصر الآلوسي على معنى التهكم[2]، وقال أبو حيان أنَّ الاستفهام للتقريع والتوبيخ[3]، في حين ذكر بعض المفسرين أنَّ الاستفهام هنا للإنكار[4].

ومنه أيضاً مما جاء في قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ يَـٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَـٰٓؤُاْ ﴾ [هود: من الآية ٨٧]، قال رشيد الخطيب: «والاستفهام للإنكار والاستهزاء. والمعنى: أدينك هذا يأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا، أو أن نتصرف في أموالنا بما نستطيع من حذق واحتيال على الكسب من الناس»[5].

وذكر الزمخشري الآية على طريق السخرية والهزء وتابعه البيضاوي[6].

وذهب القرطبي إلى معنى الإنكار[7]، واقتصر ابن جزي على معنى الاستهزاء[8]، وتبعه أبو حيان في ذلك[9]، وذهب البقاعي إلى معنى التهكم[10].

---

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم: ٨/٩، والبحر المحيط: ١٤٥/٨.

(٢) ينظر: روح المعاني: ١٩/٢٩.

(٣) ينظر: البحر المحيط: ٢٩٧/٨.

(٤) ينظر: التسهيل: ٢٠٥/٣، ولباب التأويل: ١٢٦/٧، واللباب في علوم الكتاب: ٢٥٣/١٩.

(٥) أولى ما قيل: ٢٥٣/٤-٢٥٤.

(٦) ينظر: الكشاف: ٢٨٦/٢، وأنوار التنزيل: ٤٦٦/١.

(٧) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٧٧/٩.

(٨) ينظر: التسهيل: ١١/١٢.

(٩) ينظر: البحر المحيط: ٢٥٣/٥، وينظر: التفسير الكبير: ٣٦/١٨، وزاد المسير: ٢٧٤/٤.

(١٠) ينظر: نظم الدرر: ٤٤٠/١٢.

ب- الاستفهام الإنكاري التهويلي:

ومن ذلك مما جاء في قوله تعالى: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٤-٦]، قال رشيد الخطيب: «فهددهم وأنَّبهم سبحانه بأسلوب الاستفهام الإنكاري التهويلي فقال: «ألا يظن أولئك أنَّهم مبعوثون ليوم عظيم، يوم يقوم الناس لرب العالمين» قياماً طويلاً، يحاسبهم فيه على أعمالهم وما ارتكبوه من السيئات»[(١)].

وذهب بعض المفسرين ومنهم الرازي وأبو حيان إلى معنى الإنكار[(٢)]، وذهب آخرون ومنهم البيضاوي والنسفي وابن عاشور إلى أنَّ الاستفهام تعجبي[(٣)].

٥- الاستفهام الإنكاري التبصيري:

ومنه مما جاء في قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الملك: ٢٢]، قال رشيد الخطيب في معرض تفسيره للآية: «والمكب: هو الذي ينكس رأسه إلى الأرض فلا يبصر الطريق ولا من يستقبله. والسوي: هو الذي يستوي قائماً فيبصر الطريق وجميع الجهات: مثل بهما للمؤمن المتبصر والكافر المعرض، بطريقة الاستفهام الإنكاري التبصيري»[(٤)].

ولم يذكر المفسرون هذا المعنى الذي ذكره رشيد الخطيب، بل اقتصروا

---

(١) أولى ما قيل: ١٦٧/٩.

(٢) ينظر: التفسير الكبير: ٨٣/٣١، والبحر المحيط: ٤٣٢/٨، وأيسر التفاسير: ٥٣٤/٥.

(٣) ينظر: أنوار التنزيل: ٤٦٤/٥، ومدارك التنزيل: ٣٢٣/٤، والتحرير والتنوير: ١٧١/٣٠، والسراج المنير: ٣٦٥/٤.

(٤) أولى ما قيل: ٧٢/٩.

على معنى الإنكار فقط[1].

د- الاستفهام الإنكاري التعجبي:

ومنه مما جاء في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، قال رشيد الخطيب: «"ألم تَرَ" للتعجيب من هذه المحاجة وغباوة صاحبها وغروره مع الإنكار عليه»[2].

وذهب البيضاوي إلى معنى التعجيب قائلاً: «تعجيب من محاجة نمرود وحماقته»[3]. وهذا رأي النحاس؛ إذ يقول: «وفي الكلام معنى التعجيب، أي: أعجبوا له»[4]. وذكر ابن عطية وأبو السعود إنَّ: «همزة الاستفهام لإنكار النفي وتقرير المنفي»[5].

هـ- الاستفهام الإنكاري التهديدي:

ومن ذلك مما جاء في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا﴾ [يونس: من الآية ٥٠]، قال رشيد الخطيب: «وقد أقام مقام الجواب هذه الجملة المصدرة بالإنكار التهديدي ملتفتاً من الخطاب إلى الغيبة للإبعاد والتحقير»[6].

---

(١) ينظر: فتح القدير: ٣٦٩/٥.

(٢) أولى ما قيل: ص٣٤٨، وينظر: تفسير المنار: ٣٨/٣-٣٩.

(٣) أنوار التنزيل: ٥٥٩/١.

(٤) معاني القرآن: ٢٧٥/١.

(٥) ينظر: المحرر الوجيز: ٣٤٢/١، وإرشاد العقل السليم: ٢٥١/١.

(٦) أولى ما قيل: ٢٠٢/٤.

ولم يذكر المفسرون المعنى الوارد للاستفهام في هذه الآية الكريمة، سوى صاحب زهرة التفاسير الذي قال: «أرأيتم: استفهام داخل على رأيتم وهو تصوير حالهم، والمعنى: أرأيتم وتصورتم حالهم إذا أتاكم عذابه بياتاً وأنتم نائمون...»[1]، فعرض الاستفهام عنده هو للتبصير.

٤- الاستفهام التقريري:

وهو حمل المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر عنده[2]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ [الفرقان: من الآية ٢٠]، قال رشيد الخطيب: «... وقد قرر التثبيت بهذا الاستفهام التقريري فقال: «أتبصرون» على ذلك الابتلاء: يحملهم بهذا الاستفهام على الصبر والثبات»[3].

وذكر ابن عاشور أنَّ غرض الاستفهام في هذه الآية هو الحث والأمر[4]. وهذا الرأي قال به أغلب المفسرين[5].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾ [التوبة: من الآية ١٠٤]، قال رشيد الخطيب: «ألم يعلموا» تقرير المعنى لا الاستفهام الحقيقي. فهو يقرر بقوله: «ألم يعلموا...» قبول الله للتوبة وللصدقات»[6].

(١) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة: ٣٥٨٦/١.

(٢) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ١٩٠/١.

(٣) أولى ما قيل: ٢٠٤/٦.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير: ٣١/١٩.

(٥) ينظر: البحر المحيط: ٣٥٧/٦، وتفسير الجلالين: ٤٧٢/١، وبحر العلوم: ٥٣٣/٢.

(٦) أولى ما قيل: ١٦٥/٤.

وهذا المعنى جاء موافقاً لما قال به المفسرون، جاء في تفسير الجلالين: «الاستفهام للتقرير والقصد به هو تهييجهم إلى التوبة والصدقة»(١).

ومنه مما جاء في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾ [الفيل: ٢]، قال رشيد: «والاستفهام للتقرير، والمعنى: إنَّ الله سبحانه جعل كيدهم فاشلاً خائباً»(٢). وهذا رأي أغلب المفسرين(٣).

وقد أكثر الشيخ رشيد الخطيب من ذكر هذا النوع في تفسيره(٤).

٥- الاستفهام للتقريع والتبكيت:

ومن ذلك مما جاء في قوله تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [الفرقان: من الآية ١٧]، قال رشيد الخطيب: «وهذا الاستفهام للتقريع الصافع والتبكيت اللاذع للعبدة الضالين»(٥).

وهذا رأي البيضاوي؛ إذ قال: «لإخلالهم بالنظر الصحيح وإعراضهم عن المرشد النصيح وهو استفهام تقريع وتبكيت للعبدة»(٦).

وذكر الزمخشري معنى التبكيت وتبعه النسفي(٧).

---

(١) تفسير الجلالين: ٢٥٩/١، وينظر: لباب التأويل: ١٤٥/٣، وأيسر التفاسير: ٤٢٢/٢.

(٢) أولى ما قيل: ٢٥١/٩.

(٣) ينظر: روح المعاني: ٢٣٦/٣، وفتح القدير: ٧٠٤/٥، والبحر المديد: ٥٣٧/٨.

(٤) ينظر: أولى ما قيل: ١٧/٤، و٤٨/٧، و١٢٩/٩، و٢١٥/٩.

(٥) أولى ما قيل: ٢٠٣/٦، وانظر أمثلة أخرى في: ٣٥/٤، و٢٣٠/٦.

(٦) أنوار التنزيل: ٢١٠/٤.

(٧) ينظر: الكشاف: ٢٧٣/٣، ومدارك التنزيل: ١٦٣/٣.

ويأتي الاستفهام عند رشيد الخطيب بمعنى التبكيت فقط، من ذلك مما جاء في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْۚ﴾ [النحل: من الآية٢٧]. قال رشيد الخطيب: «أي: تخاصمون الأنبياء والمؤمنين في شأنهم. والمراد من هذا الاستفهام التبكيت على ما كانوا يعتقدونه من أنَّها تشفع لهم عند الله»[١].

قال القرطبي: «﴿وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ﴾ أي: بزعمكم في دعواكم، أي: الآلهة التي عبدتم من دوني، وهو سؤال توبيخ»[٢].

وأضاف أبو حيان معنى الإهانة بالقول بالتقريع والتوبيخ[٣].

وذكر البيضاوي معنى الاستهزاء قائلاً: «ويقول أين شركائي» أضاف إلى نفسه استهزاء، أو حكاية لإضافتهم زيادة في توبيخهم»[٤] وإلى ذلك ذهب النسفي[٥].

ويأتي الاستفهام عنده أيضاً بمعنى التقريع فقط، كما في قوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [يونس: من الآية ٣٥]، قال رشيد: «استفهامان تقريعيان متواليان، بمعنى أي شيء أصابكم، وكيف تحكمون أن يكون هؤلاء شركاء لله»[٦].

---

(١) أولى ما قيل: ١٢٨/٥.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ٩٨/١٠.

(٣) ينظر: البحر المحيط: ٢٣٠/٧.

(٤) أنوار التنزيل: ٣٣٧/٣.

(٥) ينظر: مدارك التنزيل: ١٥٧/٢.

(٦) أولى ما قيل، ص١٦٩ من المقدمة.

قال الشوكاني: «هذا تعجيب من حالهم باستفهاميين متواليين أي: أي شيء لكم كيف تحكمون باتخاذ هؤلاء شركاء لله وكلا الاستفهامين للتقريع والتوبيخ»[1].

وذكر أبو حيان أنَّ الاستفهام للتعجب والإنكار قائلاً: «فما لكم استفهام معناه التعجب والإنكار، أي: أي شيء لكم في اتخاذ هؤلاء الشركاء؛ إذ كانوا عاجزين عن هداية أنفسهم، فكيف يمكن أن يهدوا غيرهم؟ كيف تحكمون استفهام آخر: كيف تحكمون بالباطل وتجعلون لله أنداداً وشركاء؟ وهاتان جملتان أنكر في الأولى، وتعجب من أتباعهم من لا يهدي ولا يهتدي»[2].

وذهب ابن جزي إلى أنَّ الاستفهام للتقرير والتوبيخ[3]. وقال ابن عاشور أن الاستفهام تعجيبي[4].

٦- الاستفهام للاستغراب والاستعظام:

ومنه مما جاء في قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ﴾ [يوسف: من الآية ٩٠]. قال رشيد في تفسيره للآية الكريمة: «وهذه الجملة الاستفهامية المؤكدة بعدة مؤكدات هي التي أفادت أنواعاً عديدة من الإحساسات فهي من البلاغة بمكان: شرحت الموقف شرحاً دقيقاً، مزج فيه التقرير والدهشة مع استفهام الاستغراب والاستعظام. إذ ما كانوا يظنون أنَّه يصبح عزيز مصر

(١) فتح القدير: ٦٤٢/٢.

(٢) البحر المحيط: ١٥٨/٥.

(٣) التسهيل: ٤٨٣/١، وينظر: الجلالين: ٢٧٢/١.

(٤) التحرير والتنوير: ٥٥/٧.

بهذه العظمة البالغة وهذا الشأن الرفيع»[1].

وقال أبو السعود عن هذا الاستفهام أنَّه: «استفهام تقرير، ولذلك أكدوه باللام قالوه استغراباً وتعجباً»[2].

وتردد أبو حيان بين استفهام الاستخبار والاستفهام التقرير قائلاً: «واستفهموه استفهام استخبار، وقيل استفهام تقرير، لأنَّهم كانوا عرفوه بتلك العلامات التي سبق ذكرها»[3].

وذهب أغلب المفسرين إلى أنَّه استفهام تقرير[4].

٧- الاستفهام للاستبعاد والاستعظام:

ومن ذلك مما جاء في قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴾ [الحجر:٥٤]، قال رشيد الخطيب: «ولما سمع بهذه البشارة التي ملأت قلبه سروراً، ووافقت غرضه ومأموله، طغت عليه موجة من الحرص الطبيعي على تحقيق إنجازها وتحقيقها. فاستفهم عما يكون من أمر المانع الطبيعي وهو الكبر، وأخرج الاستفهام عن ذلك بصورة الاستبعاد والاستعظام، ليسمع من المبشر ما يكف عنه تلك الخاطرة، ويخفف عنه ذلك الهاجس على حد قوله ولكن ليطمئن قلبي و﴿ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ

---

(١) أولى ما قيل: ٥/٥٠.

(٢) إرشاد العقل السليم: ٣٠٤/٤.

(٣) البحر المحيط: ٣٣٧/٥.

(٤) ينظر: أنوار التنزيل: ٣٠٧/٣، وروح المعاني: ٤٨/١٣، والسراج المنير: ١٠٧/٢، والتحرير والتنوير: ١١٣/١٢، والبحر المديد: ٤١٨/٣.

﴿ٱلۡكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾. أي: بأي أعجوبة تبشروني: يستعصم عادة أن يولد له ولد وهو بهذه السن»[1].

وذهب أكثر المفسرين إلى أنَّ الاستفهام في هذه الآية الكريمة هو استفهام تعجب. قال ابن جرير: «قال عجب من كبره، وكبر امرأته»[2].

وذهب أبو حيان إلى أنَّه: «تأكيد استبعاد وتعجب»[3].

ويأتي عنده للتعظيم والتهويل كما في قوله تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ﴾ [الغاشية: ١]، قال رشيد الخطيب: أي: الداهية التي تغشى الناس بشدائدها، وتغمرهم أهوالها. والمراد منها يوم القيامة والمعنى: هل سمعت قصة يوم القيامة وما يقع فيها، والاستفهام للتعظيم الأمر وتهويله»[4].

وذهب أغلب المفسرين إلى أنَّ الاستفهام للتعجيب[5].

وقال ابن عاشور: «كون الاستفهام بــ(هل) فيه مزيد تشويق فهو استفهام صوري يكنَّى عن أهمية الخبر بحيث شأنه أن يكون بلغ السامع»[6].

---

(١) أولى ما قيل: ٥/١١٢-١١٣.

(٢) جامع البيان: ١٧/١١٣، وينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٠/٣٥، ومعالم التتريل: ٤/٣٨٤، والتفسير الكبير: ٩/٣١٩، ونظم الدرر: ٤/٤٢٠، وفتح القدير: ٤/١٨٣، وأضواء البيان، ص٤٦٣.

(٣) البحر المحيط: ٧/١٩٧.

(٤) أولى ما قيل: ٩/١٨٨.

(٥) ينظر: إرشاد العقل السليم: ٩/١٤٨، وروح المعاني: ٣٠/١١٢، وفتح القدير: ٥/٦٠٥.

(٦) التحرير والتنوير: ٣٠/٢٦١.

٨- الاستفهام للتهويل:

ويكون للتخويف[1] نحو قوله تعالى: ﴿يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس: من الآية ٥٠]، قال رشيد الخطيب: «وقد ضمن معنى يتمكن فعداه تعديته، أي: ماذا يتمكنون أن يفعلوا إذا جاءهم العذاب في أي وقت كان، وهذا الاستفهام للتهويل ووخامة العاقبة»[2].

قال الواحدي في معنى الآية: «وهذا استفهام معناه التهويل والتفظيع، أي: ما أعظم ما يلتمسون ويستعجلون كما تقول: أعلمت ماذا تجني على نفسك؟! فلما قال لهم النبي ﷺ قالوا: نكذب بالعذاب ونستعجله فإذا وقع آمناً به»[3].

وذهب الشوكاني إلى أنَّ الاستفهام للإنكار[4].

وقال السمرقندي: إنَّ الاستفهام للتهديد[5].

٩- الاستفهام للتثبيت:

ومنه مما جاء في قوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [هود: من الآية ١٤]، قال رشيد الخطيب: «وهذا الاستفهام من باب التثبيت والترقية إلى معارج اليقين»[6].

---

(١) معجم المصطلحات البلاغية: ١/١٩٢.

(٢) أولى ما قيل: ٤/٢٢٨.

(٣) الوجيز: ١/٥٠١، وينظر: البحر المديد: ٣/٢٢٨.

(٤) ينظر: فتح القدير: ٢/٦٥٢.

(٥) ينظر: بحر العلوم: ٢/١٢٠.

(٦) أولى ما قيل: ٤/٢٢٨.

وقد ذكر أغلب المفسرين أنَّ الاستفهام هنا في معنى الأمر(١).

وذهب بعضهم أنَّه مستعمل في الحث على الفعل وعدم تأخيره(٢).

١٠- الاستفهام للاسترحام:

وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾ [الأعراف: من الآية ١٥٥]، قال رشيد الخطيب: «فهذا الاستفهام مرده الاسترحام بشأنه ورأفته العامة أن لا يفتنهم بالفتنة التي لا تصيب الذين ظلموا منهم خاصة. أي: ربنا لا تهلكنا بما فعل هؤلاء»(٣).

وذكر بعض المفسرين أنَّ الاستفهام للاستعطاف(٤).

٤- النداء:

النداء (لغةً): النَّداء والنُّداء: صوت مثل الدُّعاء والرُّغاء، وقد ناداه ونادى به وناداهُ مناداةً ونِداءً أي: صاح بهِ(٥).

النداء (اصطلاحاً): أدخل البلاغيون النداء في صيغ الإنشاء الطلبي، ثم عرَّفوه بأنَّه: طلب الإقبال بحرف نائب مناب (ادعو) لفظاً أو تقديراً(٦).

---

(١) ينظر: الوجيز: ٥١٥/١، ولباب التأويل: ٢٢٢/٣، والكشف والبيان: ١٦٠/٥، وزاد المسير: ٨٣/٤، وبحر العلوم: ١٤١/٢، واللباب في علوم الكتاب: ٤٥٠/١٠، والبحر المديد: ٢٧٧/٣.

(٢) ينظر: نظم الدرر: ٥١٤/٣، والتحرير والتنوير: ٢٢٠/١١.

(٣) أولى ما قيل: ٥٦/٤.

(٤) ينظر: تفسير الجلالين: ٢١٦/١، والسراج المنير: ٤١٢/١.

(٥) لسان العرب، مادة (ندى).

(٦) ينظر: تهذيب السعد: ٤٤/٣، والإتقان: ٢٠٩/٢.

وله حروف معينة قال فيها ابن عقيل: فإن كان المنادى بعيداً فله من حروف النداء: (يا، وأي، وآ، وهيا)، وإن كان قريباً فله (الهمزة)، وإنْ كان مندوباً -وهو المتفجع أو المتوجع عنه- فله: (وا) [1].

ويخرج النداء من معناه الحقيقي إلى معانٍ مجازية ذكرها البلاغيون، وتناول رشيد المعاني المجازية للنداء في بعض الآيات في تفسيره وذكر الأغراض البلاغية فيها ومنها:

١- النداء للتبريك:

ومنه مما جاء في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [النمل: من الآية: ٨]، قال رشيد الخطيب مبيناً غرض النداء في هذه الآية: «وهم الملائكة الذين حضروا احتفاء باستنباء موسى عليه السلام وهذا النداء للتبريك. والله أعلم بمراده»[2].

وقال الزمخشري في بيان معنى النداء: «أنَ هي المفسرة؛ لأنَّ النداء فيه معنى القول، والمعنى: قيل له بورك»[3]، فالنداء عند الزمخشري هو بمعنى القول، وهذا رأي البيضاوي والشوكاني[4].

وذهب ابن جزي إلى أنَّ النداء للتنزيه قائلاً: «والمقصود تنزيه الله مما عسى أن يخطر ببال السامع من النداء»[5].

---

(١) ينظر: شرح ابن عقيل: ٣/٢٥٥-٢٥٦.

(٢) أولى ما قيل: ٦/٢٤٧.

(٣) الكشاف: ٣/٣٥٤.

(٤) ينظر: أنوار التنزيل: ٤/٢٥٩، وفتح القدير: ٤/١٨١.

(٥) التسهيل: ٢/٣٠٢.

۲- النداء للتعجب:

ويرد النداء للتعجب نحو قوله تعالى: ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ [هود: ۷۲]، قال رشيد الخطيب: «فلما سمعت البشارة دفعها الحرص على تحققها، أن تستفهم كيف تذلل الموانع الطبيعية العادية فيها وفي زوجها، فأظهرت ذلك بصورة التعجب تمشياً مع خصائص اللغة في التعبير عما يخالج النفس من مثل ذلك و«قالت يا ويلتى» وهذا الكلام أتى للاستحياء والتعجب أي: يا عجباه»[(۱)].

وهذا مما ذهب إليه ابن جزي قائلاً: «يا ويلتى» الألف فيه مبدلة من ياء المتكلم... ومعناه التعجب من الولادة»[(۲)].

وقال الزمخشري في تفسير الآية: «هو استعجاب من حيث العادة»[(۳)] وتبعه البغوي والرازي وأبو حيان والبيضاوي والشوكاني[(٤)].

۳- النداء للتنبيه:

من ذلك مما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ۱۷۹]، قال رشيد الخطيب: «فخصَّ بالنداء أصحاب العقول الكاملة للتنبيه على أنَّهم هم الذين يفقهون سر هذا الحكم وما اشتمل

---

(۱) أولى ما قيل: ٤/٢٤٧.

(۲) التسهيل: ٢/١٠٩.

(۳) الكشاف: ٢/٢٨١.

(٤) ينظر: معالم التنزيل: ٢/٣٩٣، والتفسير الكبير: ١٨/٢٥، والبحر المحيط: ٥/٢٤٣، وأنوار التنزيل: ١/٤٦٣، وفتح القدير: ٢/٥١٢.

عليه من الحكمة والمصلحة العامة»[1].

ولم أجد من المفسرين من ذكر هذا الغرض للنداء في هذه الآية الكريمة.

٥- التمني:

جاء في اللسان: «تمنَّى الشيء: أراده، والتمني: تشهِّي حصول الأمر المرغوب فيه»[2].

وهو في **الاصطلاح**: طلب حصول شيء على سبيل المحبة[3].

ويكون في الأمر الذي يصعب تحقيقه أو يستحيل، والأداة الموضوعة للتمني هي (ليت)، وقد يُدلّ على التمني بحروف أخرى ليست موضوعة للتمني وهي (هل، لو، لعل)، ولا بد من أن يكون نقلها إلى التمني لأمر من أمور البلاغة[4].

ويخرج التمني من معناه الحقيقي إلى معانٍ مجازية ذكرها البلاغيون وتناول رشيد الخطيب بعض هذه المعاني في تفسيره مُبيناً الأغراض البلاغية لأسلوب التمني ومنها:

١- التمني للنجدة والخلاص:

ومنه مما جاء في قوله تعالى: ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ﴾ [الأعراف: ٥٣]، قال رشيد الخطيب: «﴿فَهَل لَّنَا﴾ الآن ﴿مِن شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ﴾ فيتمنون الخلاص بكل وسيلة يتصورونها حسب عقليتهم

---

(١) أولى ما قيل، (رسالة) مخطوط الجزء الأول، ص٢٥٢.

(٢) لسان العرب، مادة (تمنى).

(٣) التلخيص : ٢٢٨/١.

(٤) بلاغة التركيب في علم المعاني، ص ١٩٨.

وانطباعاتهم. وهذا التمني، مظهر من مظاهر الندم العظيم واليأس العميق»[1].

وقال أبو حيان بمعنى الخلاص في هذه الآية: «ما أخبر به من الوعد والوعيد... سؤالاً عن وجه الخلاص في وقت أن لا خلاص»[2].

واقتصر القرطبي بذكر لفظ التمني قائلاً: «الاستفهام فيه معنى التمني»[3].

ولم يذكر الزمخشري لفظ التمني في الآية بل اكتفى بالقول على أنَّها استفهام[4].

٢- التمني لرفعة وعزة المُتمنِّي:

ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٢] ذلك لأنَّ التمني بـــ(لو) أشعار بعزَّة المُتمني وقدرته؛ لأنَّ المتكلم يظهر في صورة الممنوع؛ لأنَّ (لو) بحسب أصلها حرف امتناع[5]. وامتناع الشيء عن الإنسان سبب ليصبح الممتنع ذا هَيبة، ووقع في القلب والنفس، وكما يقال في علم النفس كل ممنوع مرغوب و(لو) أداة امتناع لامتناع فامتناع الشيء عن الوجود أمام الطالب يجعل الحصول عليه ممنوعاً لذلك كان تمني الكافرين العودة المحببة والعزيزة إلى قلوبهم لدار الدنيا سبباً في عدم كونهم من المؤمنين، فالسبب المعدوم أدى إلى نتيجة معدومة، قال رشيد الخطيب: «وللزيادة في الندم يتمنَّون الرجوع لإصلاح ما فرط منهم، تمني يائس بائس... ويجوز أن يكون هذا

---

(١) أولى ما قيل: ٢٤/٤.

(٢) البحر المحيط: ٣٠٨/٤.

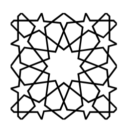
(٣) الجامع لأحكام القرآن: ١٩٦/٧.

(٤) ينظر: الكشاف: ٩٢/٢.

(٥) ينظر: علم المعاني، ص٦٣.

القول زفرة الإفاقة والعلم بأنَّ الأوان قد فات، وأن لا فائدة في توزيع التبعات»[1]. فهذا الرجوع للمُتمنى صار له عزة ورفعة لامتناعه.

وذهب الزمخشري بالقول: «ولو في مثل هذا الموضع في معنى كأنَّه قيل فليت لنا كرة وذلك لما بين معنى (لو) و(لَيتَ) من التلاقي في التقدير»[2]، وقال القرطبي في معرض تفسيره للآية: «ولو وقع لنا رجوع إلى الدنيا لآمنا حتى يكون لنا شفعاء تمنوا حين لا ينفعهم التمني»[3].



---

(١) أولى ما قيل: ٦/٢٣٠-٢٣١.

(٢) الكشاف: ٣/٣٢٨.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ١٣/١١٧.

المبحث الثالث

التقديم والتأخير

أسلوب التقديم والتأخير من أبرز الظواهر البلاغية وأهمها في لغة العرب، إذ إنَّ من سنن العرب «تقديم الكلام وهو في المعنى مؤخراً وتأخيره وهو في المعنى مقدم»[1]، إنَّ ظاهرة التقديم والتأخير ظاهرة نحوية تناولها النحويون القدماء فكان سيبويه (ت١٨٠هـ) أوّل من اعتنى بالتقديم والتأخير وأشار إلى دلالات بلاغية كتقديم الفاعل والفعول للعناية والاهتمام[2]. ودلالات تتعلق بالصنعة الشعرية كالضرورة الشعرية التي قد يؤدي فيها التقديم والتأخير إلى قبح الكلام أحياناً.

وقد تابع النحاة واللغويون سيبويه في آرائه كالمبرد (ت٢٨٥هـ) وابن جني (ت٢٩٣هـ) الذي تفرد في مناقشته لهذه الظاهرة بينما تميز الفراء (ت٢٠٧هـ) والأخفش (ت٢١٥هـ) في نصهما على مواضع التقديم والتأخير من نوع تقديم اللفظ والتأخير في المعنى إلى أن وصل البحث إلى الجرجاني (ت٤٧١هـ) الذي درس الظاهرة -مفيداً من سيبويه- دراسة دقيقة مفصلة وأعطى فيها لكل حالة خصوصيتها المعنوية، وقدَّم دراسته على وفق منهج علمي دقيق وتتابعت الدراسات البلاغية للتقديم والتأخير فكان الزركشي (ت٧٩٤هـ) والسيوطي (ت٩١١هـ) في كتابيهما البرهان والإتقان قد قدَّما حشداً للآراء وبياناً كاشفاً لهذه الظاهرة.

---

(١) المزهر: ٣٣٨/١.

(٢) ينظر: الكتاب: ١٢٧/٢-١٢٨.

❑ التقديم والتأخير عند رشيد الخطيب:

وقف رشيد الخطيب على بعض الآيات القرآنية، التي اشتملت على أسلوب التقديم والتأخير، وبين الأغراض البلاغية وراء كل تقديم وتأخير، وكما بين سبب التقديم والتأخير، وسأشير -إن شاء الله- إلى هذه الآيات، ومن اللافت للنظر أنَّ رشيد لم يتوسع بالقول في هذا الأسلوب، وإنَّما اكتفى ببعض الإشارات في أثناء تفسيره للآيات القرآنية الكريمة.

١- التقديم للتخصيص:

ورد هذا النوع من التقديم في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: من الآية ٥]، قال رشيد: «فالتقديم لغرض التخصيص»[١].

وقال أبو السعود: «وتقديم المعمول للاعتناء به والقصد إلى التخصيص»[٢]. في حين ذهب ابن عطية إلى معنى الاهتمام في التقديم قائلاً: «وقدم المفعول على الفعل اهتماماً وشأن العرب تقديم الأهم»[٣].

٢- التقديم لإظهار شدة الشناعة:

وذلك في قوله تعالى: ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ [النحل: ٧٢]، قال رشيد: «التقديم لإظهار شدة الشناعة فيما فعلوا؛ إذ بالباطل آمنوا وبدين الله كفروا»[٤].

---

(١) أولى ما قيل: ١/٤٦.

(٢) إرشاد العقل السليم: ١/٩.

(٣) المحرر الوجيز: ١/٦٤.

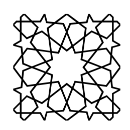
(٤) ينظر: أولى ما قيل: ٧/٤٨.

وهذا ما ذكره أبو السعود بقوله: «وتقديم الصلة في الموضعين لإظهار كمال شناعة ما فعلوه»[1]، وذهب البيضاوي إلى معنى الاهتمام أو الاختصاص قائلاً: «وتقديم الصلتين للاهتمام أو الاختصاص على طريق المبالغة»[2]، وتبعه الآلوسي[3].

٣- التقديم لزيادة مدلول الجملة:

وجاء هذا النوع من التقديم في قوله تعالى: ﴿وَإِيَّـٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [البقرة: من الآية ٤٠]، قال رشيد: «وللزيادة في مدلول الجملة، قدم ضمير الفصل»[4].

وقال الشوكاني: إنَّ غرض التقديم هو الاختصاص: «وتقديم معمول الفعل يفيد الاختصاص»[5]، وهذا ما ذهب إليه أغلب العلماء[6].



---

(١) إرشاد العقل السليم: ٤٧/٧.

(٢) أنوار التنزيل: ٣٢٤/٤.

(٣) ينظر: روح المعاني: ١٤/٢١، والبحر المديد: ٤٩٥/٥.

(٤) ينظر: أولى ما قيل: ٤٦/١.

(٥) فتح القدير: ١١٦/١.

(٦) ينظر: البحر المحيط: ٣٣١/١، والتحرير والتنوير: ٤٤٢/١، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٢٧٢/١.

المبحث الرابع

الفصل والوصل

الفصل في اللغة الحاجز جاء في اللسان: والفصل الحاجز بين الشيئين، فصَّل بينهما يفصل فصلاً فانفصل وفَصَلْت الشيءَ فانفصل: أي: قطعته فانقطع، والوصل، وصل الشيء بالشيء يصلهُ وصلاً وصِلةً وصُلَةٌ، واتصل الشيء بالشيء: لم ينقطع(1).

والوصل في البلاغة عطف بعض الجمل على بعض، والفصل تركهُ(2). وهو من المباحث البلاغية التي جعلها العلماء مقياساً للبلاغة فقد نقل الجاحظ أنَّه قيل للفارسي ما البلاغة؟ فقال: هي معرفة الفصل والوصل(3). ولعل عبد القاهر من أشهر الذين بحثوه بحثاً مفصلاً، والذي حدد أصول البحث في الفصل والوصل وقوانينه، وأنواعه بقوله: «إنَّ الجمل على ثلاثة أضرب: جملة حالها مع التي قبلها حال الصفة مع الموصوف، والتأكيد مع المؤكد، فلا يكون فيها العطف البتة لشبه العطف فيها -لو عطفت- يعطف الشيء على نفسه. وجملة حالها مع التي قبلها حال الاسم يكون كلا الاسمين فاعلاً أو مفعولاً أو مضافاً إليه فيكون حقها العطف. وجملة ليست في الشيء من الحالين... وحق هذا ترك العطف البتة. فترك العطف يكون إما للاتصال إلى الغاية، أو الانفصال إلى الغاية والعطف لما هو واسطة بين الأمرين وكان له حال بين

---

(1) لسان العرب، مادة (فصل) و(وصل)، وينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ٣/١١٨.

(2) ينظر: الإيضاح، ص١٤٥، والتلخيص، ص١٧٥، وتهذيب السعد: ٣/٥٨.

(3) ينظر: البيان والتبيين: ١/٨٨.

الحالين فاعرفه»[1].

واتفق البلاغيون فيما بعد على إن الفصل في خمسة مواضع وأن الوصل يجب في ثلاثة مواضع[2].

❑ مواضع الفصل:

➢ **الأول**: وهو أن يكون بين الجملتين كمال التآلف وتمام الاتحاد، إذ تنزل الثانية من الأولى المنزلة نفسها وهو (كمال الاتصال) وذلك أن تكون الجملة الثانية تأكيداً للأولى، والمقتضى للتأكيد رفع توهم التجوّز والغلط، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦] تجد أن جملة «لا يؤمنون» مؤكدة لجملة «سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم»، لأنَّ معنى الثانية: يستوي عندهم الإنذار وعدمه، قال رشيد: «وقوله: ﴿لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ جملة مستقلة مؤكدة لما قبلها»[3].

أو أن تنزل الثانية بدلاً من الأولى، والبدل ثلاثة أضرب: المطابق، والبدل جزء من كل، وبدل الاشتمال.

ومنه مما جاء في قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ [الأعراف:١٢١-١٢٢]، قال رشيد: «وهذا الإبدال للتقرير والتحرير وإظهار اليقين»[4].

---

(١) ينظر: دلائل الإعجاز، ص١٨٧.

(٢) ينظر: الإيضاح، ص١٤٥، والتلخيص، ص١٤٧.

(٣) أولى ما قيل: ٧٧/١.

(٤) المصدر نفسه: ٤٤/٤.

وقال أبو حيان: «ولما كان قد يوهم هذا اللفظ غير الله تعالى كقول فرعون أنا ربكم الأعلى نصّوا بالبدل على إنَّ ربِّ العالمين رب موسى وهارون»[1].

ومن أمثلة بدل الاشتمال قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ عَجَبٗا﴾ [الكهف: من الآية ٦٣]، قال رشيد: «وقوله: «أن أذكره» يحتمل أن يكون مفعولاً لنسيت، على إنَّه بدل اشتمال من الحوت... ويحتمل أن يكون بدل اشتمال من ضمير أنسانيه ويحتمل الأمرين معاً على طريقة المتنازع ولذلك أخرَّه»[2].

أو أن تكون الثانية بياناً للأولى وذلك بأن تنزل منها منزلة عطف البيان من متبوعه في إفادة الإيضاح والمقتضي للتبيين أن يكون في الأولى نوع خفاء مع اقتضاء المقام إزالته.

وقد أورد الشيخ رشيد من هذا العطف في تفسيره لكنه لم يجزم به قائلاً: «﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ﴾ [الأعراف: من الآية ١٥٧] بدل منه أو عطف بيان عليه وحده دون الأول. وقيل بل إنما فصل اسم الموصول هنا؛ لأنه بيان مستأنف للموصلين اللذين قبله معاً»[3].

➢ **ثانياً**: وهو أن يكون بين الجملتين (كمال الانقطاع) أي: تباين تام وليس في الفصل إيهام خلاف المقصود، وذلك أن تختلف الجملتان خبراً

(١) البحر المحيط: ٣٦٤/٤.

(٢) أولى ما قيل: ٢٥/٦.

(٣) أولى ما قيل : ٥٨/٤.

وإنشاء لفظاً ومعنى، ومنه قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ﴾ [البقرة: ٤٤- من الآية ٤٥]، قال رشيد: «ويجوز أن يكون في قوله: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟﴾ انفصال في الكلام والتفات به إلى المؤمنين يثبِّتهم تجاه هؤلاء المعاندين. ومثل هذا من نهج القرآن وأساليبه»(١).

➢ **ثالثاً**: وهو أن تصلح الجملة الثانية جواباً على سؤال صريح أو مفهوم من الجملة الأولى فتترل الأولى مترلة السؤال فتفصل عنها كما يفصل الجواب عن السؤال، ويسمى هذا (شبه كمال الاتصال) أو (الاستئناف) كقوله تعالى: ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ﴾ [التوبة: ٩٤- من الآية ٩٥]، قال رشيد: «﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾» ويحاسبكم بما تستحقون. ثم استأنف الكلام وقال: «﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ﴾ أي: سيؤكدون إليكم اعتذارهم بالأيمان الكاذبة إذا رجعتم إليهم من سفركم»(٢).

➢ **رابعاً**: وهي أن يكون ثمة جملة مسبوقة بجملتين يجوز عطفها على الأولى منهما ولا يجوز عطفها على الثانية فيُترك العطف لئلا يُظن أنَّها معطوفة على الثانية، ويسمي البلاغيون هذه الحالة (شبه كمال الانقطاع)، ومثله قول الشاعر:

يَقُولُونَ: إنِّي أحْمِلُ الضَّيْمَ عِنْدَهُمْ ... أعُوذُ بِرَبِّي أنْ يُضَامَ نَظِيرِي

فقد فصل جملة: «أعوذ بربي» عن جملة: «يقولون» مع جواز عطفها

---

(١) المصدر نفسه: ١/١٢٤.

(٢) أولى ما قيل : ٤/١٦٢.

عليها، حتى لا يتوهم عطفها على جملة: «أحمل الضيم...»، فتكون من مقولهم؛ وهي لست منه، بل هي من كلام الشاعر[1].

و لم أجد شواهد عند رشيد الخطيب ذكرناها إكمالاً للفائدة.

➢**خامساً**: وهو ألا يراد إشراك الجملة الثانية مع سابقتها في الإعراب؛ لأنَّ ذلك يغيّر المعنى، ويسمي البلاغيون هذه الحالة (التوسط بين الكمالين)، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٤- ١٥]، فلو عطف ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ﴾ داخلة في كلام المنافقين وهذا بالطبع غير هذا، و لم أجد أيضاً شواهد عند رشيد ذكرناها إكمالاً للفائدة.

❑ مواضع الوصل بين الجمل:

المقصود الحالات التي يجب فيها العطف بين الجمل وهي ثلاثة مواضع:

➢**أولاً**: إذ اختلفت الجملتان خبراً وإنشاء وأوهم الفصل خلاف المقصود، كقولك لمن سألك عن صحة أبيك المريض: هل تحسّنت صحة أبيك؟ فتقول له (لا وعافاك الله) فإنَّ حرف العطف في جوابك لابد منه؛ لأنَّ حذفه (لا عافاك الله) يوهم بخلاف المراد، أنت تريد أن تدعو له وعبارتك توهم بأنَّها دعاء عليه، والجملتان مختلفتان فالأولى التي تمثلها (لا) معناها (لم تتحسن صحة أبي) فهي خبرية، والثانية (عافاك الله) دعائية إنشائية، وكان الفصل بينهما أولى فبينهما (كمال انقطاع) إلا أنَّه عطف بينهما لئلا يُتوهَّم عكس المراد[2].

هذا و لم أجد عند رشيد شواهد لهذه الحالة.

---

(١) علم المعاني، د. بسيوني عبد الفتاح، ص٤٧٤.

(٢) البلاغة من منابعها، ص١٤٧.

➢**ثانياً**: إذا اتفقت الجملتان المعطوف بينهما خبراً وإنشاء لفظاً ومعنى كقوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]، فقد اتفقت الجمل: خذوا زينتكم.. كلوا.. اشربوا.. لا تسرفوا.. في الإنشائية لفظاً ومعنى، ومن ثم وصل بينهما، قال رشيد: «وفي الآية حثٌّ على الاعتناء بالنظافة والتجمل... ثم أمر بالاعتدال في أخذ الزينة وتجنب السرف فيها، وذكر ذلك في حكم آخر مكمل للأول على نهج القرآن في مثله، وجعل نظم الكلام تتميماً للقسط والعدل والصلاح والاعتدال الذي يأمر به الله، فعطف على قوله: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمۡ﴾ قوله: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ﴾ ليكون المعنى: تجملوا في اللباس وكلوا واشربوا ولا تسرفوا، ولكن اعتدلوا فيها فأوجب الاعتدال في اللبس والأكل والشرب وما إلى ذلك... فما أعظم هذه التعاليم لو عقلها المسلمون»[(١)].

➢**ثالثاً**: إذا قصد المتكلم إشراك الجملتين في حكم إعرابي واحد، وهذا كعطف المفرد على المفرد؛ لأنَّ الجملة لا يكون لها محل من الإعراب حتى تكون واقعة موقع المفرد. وينبغي أن تكون مناسبة بين الجملتين[(٢)]. كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ﴾ [الأنفال: ٢ من الآية ٤]، قال رشيد: «وأتى بجملة الصلة «ومما رزقناهم ينفقون» تبصرة للنفوس بأن ما ينفق إنما هو الله وإلى الله...»[(٣)].

---

(١) أولى ما قيل: ٤/١٦-١٧.

(٢) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ٣/٥٥٣، والميسر في البلاغة العربية، ص١٨٢.

(٣) ينظر: أولى ما قيل: ٤/٨١.

المبحث الخامس

القصر والحصر

القصر لغةً: الحبس والالتزام، نقول: قَصَرتَ نفسي الشيء إذا حَبستها[1].

واصطلاحاً: هو تخصيص أمرٍ بآخر بطريق مخصوصة[2].

والقصر توكيد وأداته التي يقوم عليها هي النفي والاستثناء. ومن المعلوم أنَّ الغرض البلاغي الذي يؤدي القصر ليس جمالياً، فالقصر من مباحث علم المعاني. والغرض الذي يؤديه أسلوب القصر غرض جوهري يتعلق بمعاني الجمل، وقد يختلف المعنى كلياً لتقديم كلمة أو تأخيرها بحسب السياق القرآني.

وأسلوب القصر يتكون من ركنين: المقصور والمقصور عليه، أي: أحد الشيئين موصوف والآخر صفة[3].

وللقصر طرفان: المقصور، والمقصور عليه، والأخير هو الشيء المخصص به.

❑ أنواع القصر:

حين يدرس البلاغيون أنواع القصر أو أقسامه ينظرون إليه من زوايا ثلاث:

أ – القصر من حيث الطرفان:

١- **قصر الموصوف على الصفة:** وهو من القصر الإضافي، إذ الموصوف على هذه الصفة لا يتجاوزها إلى غيرها. نحو: (المرء بعلمه لا بماله) قصرت

(١) لسان العرب، مادة (قصر).

(٢) ينظر: الإتقان: ٢/١٠٦، والميسر في البلاغة العربية، ص٢١٩.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٣/١٦٦.

الموصوف (المرء) على صفة العلم. ومنه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ [المجادلة: من الآية ١٨]، قال رشيد الخطيب: «وإنَّما أكد الجملة بهذه المؤكدات المتعددة المقتضية لحصر الكذب فيهم»(١).

٢- **قصر الصفة على الموصوف:** وهو قصر صفة على موصوف كما في قولك: (لا خالق إلا الله) قصرت صفة الخلق والإنشاء على الله ﷻ، ومثله قوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ﴾ [النمل: ٦٥]، قال رشيد: «وبعد أن حقق تفرده تعالى بالإلوهية، ببيان اختصاصه بالقدرة العظيمة والإنعامات الجليلة، عقب بذكر ما هو من متمماته، وهو اختصاصه تعالى يعلم الغيب الذي هو من خصائص الإلوهية أيضاً»(٢).

ب- القصر من حيث الحقيقة والواقع:

١- **القصر الحقيقي:** أن يختص المقصور بالمقصور عليه بحسب الحقيقة والواقع فلا يتجاوزه إلى غيره كقولك: (لا خالق إلا الله) لأن الحقيقة والواقع يشهدان بذلك ولا يمكن أن يتصور العقل السليم خالقاً آخر. ومنه قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ﴾ [الأنبياء: ٢٢]، قال رشيد الخطيب: «ثم أقام البرهان على إبطال تعدد الآلهة واستحالته فقال: «لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا» أي: لو كان في السماوات والأرض آلهة غير الله، لفسد نظامها، لما يكون بين الآلهة من الاختلاف والتمانع، لأنَّ

(١) أولى ما قيل: ١٢/٩.

(٢) المصدر نفسه: ٢٦٢/٦.

لكل واحد منهم إرادة مستقلة حسبما تقتضيه حالة الإله الصحيح، وإلا لما كان إلهاً، بل كان صاحب تلك الإرادة منهم وحده هو الإله المستقبل بتدبير الملك»[1].

٢- **القصر غير الحقيقي (الإضافي)**: هو أن يختص المقصور بالمقصور عليه بحسب الإضافة إلى شيء معين ويمكن أن يتجاوزه إلى غيره، كقوله ﷺ: «إنّما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[2] فهو عليه السلام بُعثَ لهذا الغرض لكن إلى جانب أغراض أخرى، فقد بعث ليدعو إلى الله ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر...، ومثله قوله تعالى: ﴿وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، قال رشيد: «وهذا كالتعليل لما تقدم من نفي امتيازه على البشر، وبيان أن منصب الرسالة مقتصر على هذا القدر»[3].

ج- القصر باعتبار حال المخاطب:

وهذا القسم خاص بالقصر الإضافي فقط، وبيان ذلك أنَّ القصر الإضافي ينقسم باعتبار حال المخاطب على ثلاثة أقسام: قصر إفراد، وقصر قلب، وقصر تعيين. والمخاطب في أسلوب القصر إما أن يكون شاكاً في الأمر أو يكون معتقداً عكس الرأي في الحكم أو يكون معتقداً الشِركة بين اثنين أو أكثر في الحكم. فهو يكون لمقتضى الحال أو ما تدَّعيه الحاجة[4].

(١) أولى ما قيل: ٩٢/٦.
(٢) سنن البيهقي الكبرى: ٢٠٥٧١: ١٩١/١٠.
(٣) أولى ما قيل: ٧٣/٤.
(٤) ينظر: مفتاح العلوم، ص١٣٣، والميسر في البلاغة العربية، ص٢٦٧.

١- **قصر إفراد**: وذلك إذا اعتقد المخاطب الشركة في الحكم بين المقصور عليه وغيره[1]، نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [النحل: من الآية ٥١]، قال رشيد: «ثم أردف صيغة الحصر فقال: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ وهو الله»[2].

٢- **قصر القلب**: وفيه يعتقد المخاطب عكس الحكم الذي أثبته المتكلم له أي يعتقد عكس تلك الصفة الأولى ويسمى قصر القلب لقلبه حكم السامع[3]، كقولك: جاءني زيد لا عمرو، مخاطباً من يعتقد أن عمراً هو الذي جاءك دون زيد، فأنت تعكس وتقلب ما يعتقده، ولذا سمي قصر قلب. ولم أجد عند رشيد شواهد لهذا النوع من القصر.

٣- **قصر التعيين**: وفيه يكون المخاطب متردداً في الحكم بين عليه أي واضح أي من تساوي الأمران عنده، أي: اتصاف ذلك الأمر بتلك الصفة[4]، كقولك لمن يتردد شاكاً في النجاح أعمرو أم بكر، إنَّما الناجح عمرو، وقولك: لمن يشك في أمر زيد أمقيم أم مسافر، زيد مقيم لا مسافر.

هذا ولم أجد عند رشيد شواهد لهذا القصر.

❑ طرق القصر:

والمراد الأساليب التي يؤدى بها القصر، وقد اهتمَّ البلاغيون بأربع منها وهي: القصر بـــ(إنَّما)، القصر بـــ(ما) و(إلا) أو بالنفي والاستثناء، القصر

---

(١) معجم البلاغة العربية: ٢/٤٥٠.

(٢) ينظر: أولى ما قيل: ٥/١٣٤.

(٣) ينظر: الإيضاح، ص١١٩، والميسر في البلاغة العربية، ص٢٦٧.

(٤) ينظر: الإيضاح، ص١١٩.

ببعض حروف العطف، القصر بتقديم ما حقه التأخير، وهذه الأساليب ذكرها رشيد الخطيب في تفسيره، وإليك بيان ذلك:

١- القصر بالنفي والاستثناء:

وهي أوسع طرق القصر وأكثرها شهرة ودوراناً في كتاب الله ﷻ، والنفي والإثبات أساساً أسلوب القصر ومن خلال هذا الأسلوب تظهر لنا كل المعاني والصور المتصلة بأسلوب القصر وقيمته البلاغية، ويستخدم هذا الطريق فيما ينكره المخاطب ويدفعه، أو فيما يجهله ولا يعرفه، أو فيما يشك فيه ويرتاب.

قال عبد القاهر: «وأما الخبر بالنفي والإثبات نحو: ما هذا إلا كذا، وإن هو إلا كذا، فيكون الأمر ينكره المخاطب ويشك فيه، فإذا قلت: ما هو إلا مصيب أو ما هو إلا مخطئ، قلته لمن يدفع أن يكون الأمر على ما قلته، وإذا رأيت شخصاً من بعيد فقلت: ما هو إلا زيد، لم تقله إلا وصاحبك يتوهم أنّه ليس بزيد، وأنّه إنسان آخر، ويجد فيه الإنكار أن يكون كذلك...»[(١)].

ومنه قوله تعالى: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ [مريم: ٨٧]، قال رشيد: «فقال: «لا يملكون الشفاعة» أي: لا شفاعة لهم من أحد هناك، ولا ينجو «إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا» أي: بإيمانه وعمله الصالح فهو الناجي حسبما وعد الله سبحانه - وهذا الاستثناء منقطع أو محمول على المعنى»[(٢)].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَاۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًاۚ﴾ [الأعراف: من الآية ٨٩]، قال رشيد: «وهذا

---

(١) دلائل الإعجاز، ص١٢٧، وينظر: علم المعاني لبسيوني عبد الفتاح، ص٣١٠.

(٢) أولى ما قيل: ٦/٥٣.

التعبير في النفي أأكد تعبير، لأنَّه نفي الشأن، ويتضمن نفي جميع الأعذار والتقييد باستثناء المشيئة للمبالغة في تقريره»[١].

٢- القصر بـــ(إنّما):

إنَّ القول بإفادة (إنَّما) لمعنى القصر يكاد يجمع عليه جمهور اللغويين النحاة والبلاغيين، ومعنى (إنَّما) «إثبات لما يذكر بعدها ونفي لما سواه...»[٢]. وهي تستعمل في الأمور المعلومة التي لا تنكر ولا تدفع[٣].

وذكر رشيد دلالة (إنَّما) على الحصر في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [التوبة: من الآية ٤٥]، حيث قال: «ثم قرر نفي الاستئذان عن المؤمنين بإثباته للمنافقين. على طريقة حصر الوصف فيهم تقريعاً لهم وتشنيعاً عليهم»[٤].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ وهو الله»[٥].

٣- القصر بالعطف:

وحروف العطف التي يؤدى بها أسلوب القصر ثلاثة هي (لا) و(بل) و(لكن).

- لا: وهي نافية، كقولك: (أقدَّر زيداً لا خالداً) والمقصور عليه في عبارتها هو اللفظ المقابل لما بعدها وهو (زيداً) الذي يقابل (خالداً)، فتكون

---

(١) المصدر نفسه: ٤/٣٨.

(٢) لسان العرب، مادة (أنن).

(٣) ينظر: علم المعاني لبسيوني عبد الفتاح، ص٣٢١.

(٤) أولى ما قيل: ٤/١٤٣-١٤٤.

(٥) المصدر نفسه: ٥/١٣٤.

قد قصرت تقديرك على زيد.

و لم أجد عند رشيد شواهد تطبيقية عليه.

- بل: وهي من الحروف العوامل ومعناها الإضراب عن الأول والإيجاب للثاني كما نصَّ على ذلك الرماني[1]، ويكون المقصور عليه بعدها.

و لم أجد عند رشيد شواهد لقصر (بل).

-لكن: وهي للاستدراك تؤدي أسلوب القصر إذا سبقها نفي أو نهي ويليها مفرد، ويشترط بعضهم[2] للقصر بـــ (لكن) فضلاً عن ما ذكر ألا تقترن بالواو، وهذا ليس بشيء؛ لأنَّا نراها في الأساليب الجيدة والتراكيب الممتازة إذا اقترنت بالواو وأفادت القصر، انظر إلى قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، فقد قصر النبي «عليه الصلاة والسلام» على الرسالة والختم لا يتجاوزهما إلى أبوة زيد، قصر موصوف على صفة قصراً إضافياً ولكن مقرونة بالواو[3].

و لم أجد عند رشيد شواهد لقصر (لكن):

٤- القصر بتقديم ما حقه التأخير:

وهو من مباحث اللغة الجليلة، وهو لون بلاغي مهم تحدث به كبار العربية من نحويين وبلاغيين بدءاً من سيبويه ثم تحدَّثَ السكاكي وأفصح عنه وللأغراض التي يخرج إليها كالعناية والاهتمام[4]. ويأتي الجرجاني ليضع باباً

---

(١) ينظر: معاني الحروف، ص٩٤، وأسلوب القصر في القرآن الكريم، ص٩٨-٩٩.

(٢) ينظر: النحو الوافي: ٣/٦١٧.

(٣) علم المعاني لبسيوني عبد الفتاح، ص٣٠٨.

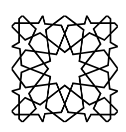
(٤) ينظر: مفتاح العلوم، ص١٣٣.

خاصاً به وقال عنه كثير الفوائد، جَمَّ المحاسن... بعيد الغاية، وهذا كله ناتج عن تحوّل اللفظ من مكان إلى مكان.

وحكم المقصور عليه في التقديم والتأخير هو المقدَّم.

ومن طرق القصر بالتقديم والتأخير عند رشيد ما جاء في القصر بتقديم المفعول في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [النحل: ٥١]، قال رشيد: «قال: «فإياي فارهبون» ليكون حضاً على التوحيد، وترهيباً من الشرك وما ينبعث عنه: والالتفات من الغيبة إلى التكلم لتربية المهابة. ولذلك أيضاً قدم المفعول»[(١)].

ومن صور التقديم التي تناولها رشيد تقديم الجار والمجرور كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨]، قال رشيد: «وقدم الجار والمجرور لإفادة القصر»[(٢)].



(١) أولى ما قيل: ١٣٤/٥.

(٢) المصدر نفسه: ٢٠٤/٤.

المبحث السادس

الإيجاز والإطناب

❑ أولاً: الإيجاز:

الإيجاز لغةً: وَجزُ الكلام وجازَةً ووجزاً وأوجز: قلَّ في بلاغة، وأوجزه اختصره. ويقال: أوجز فلان إيجازاً في كل أمر، وأمر وجيز وكلام وجيز أي: خفيف مقتصر[1].

الإيجاز اصطلاحاً: بحسب تعريف الرماني: «البيان عن المعنى بأقل ما يمكن من الألفاظ»[2].

وقد اهتم العلماء بأسلوب الإيجاز كثيراً، وعدوه من أهم أساليب اللغة، إذ نقل الجاحظ قول صحار بن عياش العبدي[3]، عندما سأله معاوية بن أبي سفيان: «ما تعدّون البلاغة فيكم؟». قال: الإيجاز. قال له معاوية: وما الإيجاز؟ قال صحار: أن تجيب فلا تبطئ وتقول فلا تخطئ[4]. ونقل عن أبي عبيدة ما قاله في الإيجاز بقوله: «العرب تختصر الكلام ليخففوه لعلم المستمع بتمامه فكأنَّه في تمام القول»[5].

ويُعدّ الرمّاني المتوفى ٣٨٦هـ أول من تحدث عن الإيجاز حديثاً بلاغياً

---

(١) لسان العرب، مادة (وجز)، وينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ١/٣٤٤.

(٢) النكت في إعجاز القرآن، ص٧٤.

(٣) هو صحار بن عياش بن شراحيل العبدي (ت٤٠هـ) صحابي خطيب. (ينظر: الأعلام: ٣/٢٠١).

(٤) ينظر: البيان والتبيين: ١/٩٦، وينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ١/٣٤٤.

(٥) مجاز القرآن: ١/١١١.

في كتابه (النكت في إعجاز القرآن) وهو الذي قسمه عن فرعيه المعروفين إيجاز القصر وإيجاز الحذف[1].

١- إيجاز القصر:

هو تقليل الألفاظ وتكثير المعاني، وكان الجاحظ قد أشار إليه وهو «الكلام الذي قل عدد حروفه وكثر عدد معانيه»[2]، وأمثلة الإيجاز كثيرة في القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُواْ﴾ [الكهف: من الآية ٩٦]، قال رشيد الخطيب: «وهذا تصوير لجهد العمال واستعمال الآلات في مجموع هذا العمل وصهر قطع الحديد. وهذا التصوير مجمل على طريقة إيجاز القرآن في البيان. فلا يستلزم أن ذلك كله جملة واحدة، فيحتمل أنه تدريجياً، كلما يفرغ من قطعة أو عدة قطع، تصهر ويفرغ عليها القطر. ويحتمل أن القطع نضدت كلها أولاً، ثم صهرت جملة وأفرغ عليها القطر على ظاهر قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ [الكهف: من الآية ٩٦] أي: نحاساً مذاباً، ولكن غالب الظن أنَّه تصوير لمجموع العمل، على طريقة إيجاز القرآن»[3].

و لم أجد من المفسرين من ذكر هذا الرأي.

ومنه أيضاً ما جاء في قوله تعالى: ﴿قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: من الآية ١٢٦]، قال رشيد الخطيب:

---

(١) ينظر: البلاغة من منابعها، ص١٥٦.

(٢) البيان والتبيين: ١٦/٢، وينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ٣٦١/١.

(٣) أولى ما قيل: ٣٢/٦.

«وفي الآية إيجاز بليغ والتقدير وقال أرزق من آمن ومن كفر، ولكن أمتع به الكافر قليلاً وفي الدنيا ثم اضطره الحد عذاب النار في الآخرة»(١).

وقال الزمخشري: «قلت في (قال) ضمير إبراهيم أي: قال إبراهيم بعد مسألته اختصاص المؤمنين بالرزق»(٢).

وقال البقاعي: «أي: أنيلهُ أيضاً ما ألهمتك من الدعاء بالأمن والرزق»(٣).

ولم يذكر أحد من المفسرين أنَّ في الآية إيجاز فقد انفرد رشيد الخطيب بهذا الرأي.

٢- إيجاز الحذف:

وهو ما يكون بحذف كلمة أو جملة أو أكثر مع قرينة تعيّن المحذوف، أو هو كما قال ابن الأثير: «ما يحذف منه المفرد لدلالة فحوى الكلام على المحذوف ولا يكون إلا فيما زاد معناه على لفظه»(٤).

□ حذف الفاعل:

ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠]، قال رشيد الخطيب: «ومن البلاغة العالية حذف الفاعل في المعادل الأول وبناءِ الفعلِ للمجهول، فقال (أشرٌّ أُريد)، وذكره في الثاني فقال أم أراد بهم ربهم رشداً، وذلك لتنسب إرادة الخير إلى

---

(١) أولى ما قيل: ١٩٤/١، وينظر أمثلة أخرى في تفسيره: ٦١/٤، و٢٦/٥، و٣٢/٥-٣٣.

(٢) الكشاف: ٢٤٠/١، والبحر المحيط: ٥٥٥/١.

(٣) نظم الدرر: ٢٤٠/١.

(٤) المثل السائر: ٨٧/٢، وينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ٣٤٩/١.

الله دون الشر»[1].

وقال ابن عاشور: «وأسند فعل إرادة الشر إلى المجهول و لم يسند إلى الله تعالى مع إن مقابلة أسند إليه بقوله: «أم أراد بهم ربهم رشداً» جرياً على واجب الأدب مع الله في تحاشي إسناد الشر إليه»[2].

☐ حذف المفعول:

وذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ﴾ [النور: من الآية ٤٣]، قال رشيد الخطيب: «والمفعول محذوف والتقدير: وينزل برداً من السماء من جبال فيها كائنة من برد... الخ»[3].

وهذا ما ذهب إليه أغلب المفسرين، قال البيضاوي: «ويجوز أن تكون (من) الثانية أو الثالثة للتبعيض واقعة موقع المفعول»[4]، وهذا ما قاله الرازي والشوكاني والشربيني وغيرهم[5].

ومن حذف المفعول ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ [البقرة: ٢٠٠]، قال رشيد الخطيب: «وما أبلغ حذف مفعول آتنا في هذا المقام فهو من رقائق الإيجاز التي تحتار فيها الأفهام وتعجز عنها قرائح الأنام»[6].

---

(١) أولى ما قيل: ١٠٣/٩.

(٢) التحرير والتنوير: ٢١٥/٢٩.

(٣) أولى ما قيل: ١٩١/٦.

(٤) أنوار التتريل: ١٩٤/٤.

(٥) ينظر: التفسير الكبير: ٤٩٧/٢، وفتح القدير: ٦٠/٤، والسراج المنير: ٤٩٧/٢، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٢٠٢/٥.

(٦) أولى ما قيل: ١٨٨/١.

وذكر النيسابوري أنَّ في الآية إضماراً؛ إذ قال: «يصح أن يقال أنَّ في الآية إضماراً أي يقول: ربنا آتنا في الدنيا فيؤتيه الله في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق، لأنَّ همَّته مقصورة على الدنيا»[1].

و لم يذكر أغلب المفسرين ما قاله رشيد في الآية الكريمة.

❑ حذف جواب الشرط:

ومنه مما جاء في قوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ﴾ [التحريم: من الآية ٤]، قال رشيد: «وجواب الشرط محذوف على نهج إيجاز القرآن، لأنَّه يفهم من السياق والمقابلة. والتقدير: يكن خيراً لكما»[2].

وهذا ما ذهب إليه أكثر المفسرين قال الرازي: «وجواب الشرط محذوف للعلم به على تقدير: كان خيراً لكما»[3]، وهذا ما ذكره القرطبي والآلوسي وغيرهم[4].

ومثله أيضاً ما جاء في قوله تعالى: ﴿أَرَءَيۡتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلۡهُدَىٰٓ ۝١١ أَوۡ أَمَرَ بِٱلتَّقۡوَىٰٓ ۝١٢ أَرَءَيۡتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ [العلق: ١١، ١٢، ١٣]، قال رشيد الخطيب: «وجواب كل من الشرطين محذوف على طريقة إيجاز القرآن أقام مقامه قوله: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العلق: ١٤] أي: أجهل أن الله مطلع على أمره فإن كان

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٥٦٨/١.

(٢) أولى ما قيل: ٦٢/٩-٦٣.

(٣) التفسير الكبير: ٤٠/٣٠.

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٨٨/١٨، وروح المعاني: ١٥٢/٢٨، والسراج المنير: ٢٣٦/٤، وتفسير الجلالين: ٧٥٢/١، واللباب في علوم الكتاب: ١٩٧/١٩، والبحر المديد: ١٢٠/٨.

على الهدى أحسن جزاءَه، وإن كذب وتولى لم يفلت من عقوبته»[1].

وهذا ما ذكره البيضاوي قائلاً: «وجواب الشرط محذوف دلَّ عليه جواب الشرط الثاني الواقع موقع القسيم له والمعنى: أخبرني عمَّن ينهى بعض عباد الله عن صلاته إن كان ذلك الناهي على هدى فيما ينهى عنه أو آمراً»[2] وتبعه النسفي والآلوسي وابن عاشور[3].

ومن حذف جواب (لو) ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا﴾ [الأنعام: من الآية ٢٧]، قال رشيد الخطيب: «وجواب لو محذوف للمبالغة في التهويل، والتقدير: لرأيت هؤلاء عظيماً ولرأيتهم في أشد الجزع»[4].

وقال ابن عطية: «وجواب «لو» محذوف تقديره في آخر الآية: لرأيت هولاً أو مشقات أو نحو ذلك، وإنَّما حذف جوابها في مثل هذا أبلغ؛ لأنَّ المخاطب يترك مع غاية تخيله»[5] وتبعه ابن جزي[6].

وذكر الرازي أن جواب (لو) محذوف تفخيماً للأمر وتعظيماً للشأن[7].

---

(١) أولى ما قيل: ٢٢٩/٩.

(٢) أنوار التنزيل: ٥١١/٥.

(٣) ينظر: مدارك التنزيل: ٣٤٩/٤، وروح المعاني: ١٨٣/٣٠، والتحرير والتنوير: ٣٩٥/٣٠.

(٤) أولى ما قيل: ٨١٨/٣.

(٥) المحرر الوجيز: ٣٣٠/٢.

(٦) ينظر: التسهيل: ٣٥٣/١.

(٧) ينظر: التفسير الكبير: ١٥٧/١٢.

ولم يذكر الزمخشري والقرطبي وأبو حيان والبيضاوي[1] وغيرهم غرض حذف جواب (لو).

◻ حذف المقسم عليه:

وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ [البروج: ١-٣]، قال رشيد: «أما المقسم عليه فمحذوف دل عليه ما ذكره بقوله: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ [البروج: ٤-٧] كأنه قال: أقسم بهذا الكون العظيم وبذلك اليوم العظيم الذي يقوم فيه الناس لرب العالمين»[2].

وذكر الزمخشري أن جواب القسم محذوف قائلاً: «فإن قلت: أين جواب القسم؟ قلت: محذوف يدل عليه قوله: «قتل أصحاب الأخدود»»[3] وتبعه النيسابوري[4].

وقد يحذف جواب القسم للإيجاز أيضاً، نحو قوله تعالى: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ [ص: ١]، قال رشيد الخطيب: «جواب القسم محذوف على نهج القرآن في أنواع الإيجاز، وتقديره كما يفهم بعده: ليس الأمر كما تقولون، وأن الحشر والحساب لاتٍ ومتحقق»[5].

---

(١) ينظر: الكشاف: ٢/١٦، والجامع لأحكام القرآن: ٢/٢٠٥، والبحر المحيط: ٤/١٠٩، وأنوار التنزيل: ٢/٤٠١، والجواهر الحسان: ١/٥١٢، وفتح القدير: ٢/١٥٧.

(٢) أولى ما قيل: ٩/١٨٧.

(٣) الكشاف: ٤/٧٣٠.

(٤) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٦/٤٧٣.

(٥) أولى ما قيل: ٧/٥٥.

وهذا ما ذهب إليه أكثر العلماء من المفسرين(١).

❑ ثانياً: الإطناب:

الإطناب لغةً: جاء في اللسان: «الإطناب: البلاغة في المنطق والوصف، مدحاً كان أو ذماً، وأطنب في الكلام: بالغ فيه... وأطنب في الوصف: إذا بالغ واجتهد»(٢).

الإطناب اصطلاحاً: عرَّفه الجرجاني بقوله: «أداء المقصود بأكثر من العبارة المُتعارفة، وأن يخبر المطلوبَ بمعنى المعشوق بكلام طويل، لأنَّ كثرة الكلام عند المطلوب مقصودة، فإنَّ كثرة الكلام توجب كثرة النظر، وقيل: الإطناب: أن يكون اللفظ زائداً على أصل المُراد»(٣).

والإطناب من أقدم الفنون التي تحدث القدماء عنها، ويُعدُّ أبو عبيدة والجاحظ وابن قتيبة من أوائل العلماء الذين أشاروا إليه في مصنفاتهم(٤).

وأدخله السكاكي في مباحث علم المعاني، وقال: «هو أداؤه -الكلام- بأكثر من عباراتهم سواء كانت القلة أو الكثرة راجعة إلى الجمل أو إلى غير الجمل»(٥).

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز: ٥٦١/٤، وإرشاد العقل السليم: ٢١٣/٣، ومعالم التتريل: ٦٧/٧، والجامع لأحكام القرآن: ١٤٤/١٥، والتسهيل: ٤٣٨/٢، ولباب التأويل: ٤٠/٦، وزاد المسير: ٩٧/٧، وفتح القدير: ٥٩٥/٤، وأيسر التفاسير: ٤٣٧/٤.

(٢) لسان العرب، مادة (طنب).

(٣) التعريفات، ص٢٥.

(٤) ينظر: مجاز القرآن: ١٢/١، والحيوان: ٧/٦، والبيان والتبيين: ١٠٥/١، وتأويل مشكل القرآن، ص١٨٠-١٨٢.

(٥) مفتاح العلوم، ص١٣٣، وينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ٢٢٤/١.

وثمة أسباب تدفع المتكلم إلى سلوك الإطناب في كلامه منها تثبيت المعنى في نفس السامع أو المخاطب، ومنها توضيح المراد، ومنها التوكيد ودفع الإيهام ومنها غير ذلك، وهي على أنواع:

١- **الإيضاح بعد الإبهام**: ويؤتى به ليرى المعنى في صورتين مختلفتين أو ليتمكن في النفس أكثر فإنَّ المعنى إذا أُلقي على سبيل الإجمال والإبهام تشوقت النفس إلى معرفته مفصلاً[١]، وقد عرَّف رشيد الخطيب هذا النوع من الإطناب بقوله: «إيراد للمعنى في صورتين مختلفتين»[٢].

ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ [الحجر: ٦٦]، قال رشيد الخطيب: «﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ﴾ ضمن قضينا معنى أوصينا أي: أوحينا إليه أن قضينا ﴿ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ﴾ المفسر بقوله: ﴿أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ أي: أوحينا إليه أنَّه لا يصبح الصباح إلا وقد استأصلهم العذاب... والتعبير عن العذاب بالأمر، والإشارة إليه بذلك، وتأخيره عن الجار والمجرور، وإبهامه أولاً ثم تفسيره ثانياً من الدلالة على هول ذلك العذاب وفظاعته ما لا يخفى»[٣].

قال الرازي: «... ثم إنَّه فسر بعد ذلك القضاء المبتوت بقوله: «إنَّ دابر هؤلاء مقطوع» وفي إبهامه أولاً وتفسيره ثانياً تفخيم للأمر وتعظيم له»[٤]، وهذا ما ذكره الزمخشري وابن عاشور[٥].

---

(١) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ٢٢٨/١.

(٢) أولى ما قيل، ص١٧٩ من المقدمة.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ١١٤/٥.

(٤) التفسير الكبير: ١٥٩/١٩.

(٥) ينظر: الكشاف: ٥٤٥/٢، والتحرير والتنوير: ٥٢/١٣.

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ [الأعراف: ٤]، قال رشيد الخطيب: «ذكر الفعل وأراد مقاربته أو إرادته أو الحكم به... أي: أردنا إهلاكها أو حكمنا به عليها لإعراضها عما جاءها من رسول وكتاب. ويجوز أن يراد بالفعل نفس الإهلاك: أجمله ثم فصّله بقوله: ﴿فَجَآءَهَا بَأْسُنَا﴾ أي: عذابنا ﴿بَيَٰتًا﴾ أي: ليلاً ﴿أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ أي: وقت القيلولة»(١).

قال البقاعي: «سبب قوله: ﴿فَجَآءَهَا بَأْسُنَا﴾ أي: عذابنا بما لنا من القوة والعظمة، أو الإهلاك على حقيقته وهذا تفصيل له وتفسير»(٢)، وهذا ما قاله الرازي(٣).

٢- ذكر الخاص بعد العام:

ويؤتى به للتنبيه على فضله حتى كأنّه ليس من جنسه تنزيلاً للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الذات(٤)، كقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [النحل: من الآية ٤٩]، قال رشيد الخطيب: «ولإرادة الوصفية غلّب غير العقلاء، بحكم الكثرة، وأتى بكلمة ما. ثم عطف الملائكة عليها عطف الخاص على العام، للاهتمام بالخاص»(٥).

ولم أجد من المفسرين من ذكر هذا الرأي.

---

(١) أولى ما قيل: ٦/٤.

(٢) نظم الدرر: ٧/٣.

(٣) ينظر: التفسير الكبير: ١٨/١٤.

(٤) معجم المصطلحات البلاغية: ٢٤٠/١.

(٥) أولى ما قيل: ١٣٣/٥.

۳- ذكر العام بعد الخاص:

وهو لإرادة العموم[1]، نحو قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ۝٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾ [الشمس: ١-٥]، قال رشيد الخطيب: «فذكر العام بعد الخاص؛ لأنَّ السماء اسم لما علا من هذا الكون الذي فيه الشمس والقمر وسائر الكواكب، تجري في مجاريها وتتحرك في مداراتها، وكل كوكب بمنزلة لبنة من بناء سقف محكم متقن شدَّ بعضه إلى بعض برباط الجاذبية العامة، كما تربط أجزاء البناء الواحد بما يوضع بينها مما تتماسك به. وإنَّما أوثرت كلمة ما على من لإرادة معنى الوصفية»[2].

لم أجد من المفسرين من ذكر هذا الرأي.

٤- التكرار:

وهو من الأساليب الشائعة في اللغة العربية، وقد اهتم رشيد الخطيب بهذا الأسلوب فقد تحدث عنه في مقدمة تفسيره، وعرض له في ثنايا التفسير، ضمن خصائص أساليب القرآن التعاقب على الغرض الواحد بألوان من الأساليب والتراكيب والتعابير، لأنَّ الأدلة إذا تضافرت على مطلوب واحد كان لها وقع عظيم في النفوس، وهو يسمي هذا الأسلوب: التكرار مع تنوع الأساليب والتفنن في التراكيب[3].

---

(١) البلاغة من منابعها، ص١٦٣.

(٢) أولى ما قيل: ٢٥/٩.

(٣) ينظر: المصدر نفسه، ص٢٠، ٢٦-٢٧، ١٠٣ من المقدمة، ٨١/١، وينظر: منهج رشيد الخطيب الموصلي في تفسير القرآن الكريم، ص٢٢٥.

وأغراض التكرار كثيرة، ومما ورد في تفسير (أولى ما قيل) هي:

التكرار للتأكيد: نحو قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: ٣-٤]، قال رشيد الخطيب في بيان غرض التكرار: «أعاد الخبر للتأكيد فقال: «ثم كلا سوف تعلمون» وأتى بثم ليفيد أنَّه خبر جديد، جيء به بعد الخبر الأول»[(١)]. وهذا ما ذهب إليه أكثر العلماء[(٢)]، قال أبو حيان: «والجمهور على إنَّ التكرار توكيد، قال الزمخشري، والتكرير تأكيد للردع والإنذار؛ وثم دلالة على إنَّ الإنذار الثاني أبلغ من الأول وأشد، كما تقول للمنصوح: أقول لك ثم أقول لك لا تفعل، والمعنى: سوف تعلمون الخطاب فيما أنتم عليه إذا عاينتم ما قدامكم من هول لقاء الله تعالى»[(٣)].

ومنه أيضاً مما جاء في قوله تعالى: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٦]، قال رشيد: «وهيهات بمعنى بعد، واللام للتقوية، وهذا التكرار لتأكيد البعد الذي قرروه بقولهم: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ [المؤمنون :٣٧]»[(٤)].

وهذا ما ذكره الشوكاني قائلاً: «أي: بعد ما توعدون أو بعيد ما توعدون والتكرير للتأكيد»[(٥)]. ولم ينص الرازي على التكرار وذكر الغرض فقط بقوله:

---

(١) أولى ما قيل: ٢٤٤/٩.

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم: ١٩٥/٩، والمحرر الوجيز: ٤٨٩/٥، وأنوار التنزيل: ٥٢٤/٥، والجواهر الحسان: ٤٣٩/٤.

(٣) البحر المحيط: ٥٠٦/٨، وينظر: الكشاف: ٧٩٧/٤.

(٤) أولى ما قيل: ١٥٣/٦-١٥٤.

(٥) فتح القدير: ٦٩٢/٣، وينظر: ياقوتة الصراط، محمد بن عبد الواحد البغدادي: ٣٧٣/١.

«ثم أكدوا الشبهة بقولهم إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا»[1].

❑ التكرار للتقرير:

ومنه مما جاء في قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٧]، قال رشيد الخطيب: «التكرار لهذه الآية في هذه السورة إنَّما هو لتقرير النعم، وتأكيد التذكير بها، يعيدها عند بيان كل نوع من أنواعها إيجاباً وسلباً»[2].

وذهب كل من ابن عطية والرازي إلى أنَّ التكرير للتأكيد[3].

التكرار للتهويل:

نحو قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ [الانفطار: ١٧-١٨]، قال رشيد الخطيب: «والتكرير للزيادة في التهويل»[4].

وهذا ما ذهب إليه الزمخشري قائلاً: «والتكرير لزيادة التهويل»[5]، وتبعه ابن عاشور[6]. وذكر الرازي أن التكرير للتعظيم[7].

❑ التكرار للعناية:

ومنه قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥].

---

(١) التفسير الكبير: ٨٦/٢٣.

(٢) أولى ما قيل: ١٨٣/٨، وينظر: ٢٣٧/١.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز: ٢٠٦/٥، والتفسير الكبير: ٨٤/٢٩.

(٤) أولى ما قيل: ١٦٦/٩، وينظر: ص١٥٣ من المقدمة.

(٥) الكشاف: ٧١٧/٤.

(٦) ينظر: التحرير والتنوير: ١٦٣/٣.

(٧) ينظر: التفسير الكبير: ٧٨/٣١.

قال رشيد الخطيب: «فقد بين أنَّه كرر اسم الإشارة (أولئك) لإظهار مزيد العناية بشأن المشار إليهم»[1]. و لم أجد من المفسرين من ذكر هذا الغرض.

□ التكرار للمبالغة:

ومثله قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤١]، قال رشيد الخطيب: «ثم ختم المحاجة بتكرير الجملة السابقة: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾، لأنَّ ما قبلها مماثل لما قبل سابقتها، فهي للمبالغة في زجرهم عما هم عليه من الافتخار بالآباء، والادعاء بأنَّهم على ملتهم وسالكون مسلكهم»[2].

وهذا ما ذكره أبو السعود قائلاً: «تكرير للمبالغة في الزجر عما هم عليه من الافتخار بالآباء والاتكال على أعمالهم»[3]، وهذا ما ذكره البيضاوي والشربيني والآلوسي[4].

وذهب القرطبي والنسفي إلى معنى التأكيد[5].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ [المدثر: ١٩-٢٠]، قال رشيد: «وقد كرر الجملة للمبالغة في ذلك فقال: ﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ والمقصود من كلمة ثم المبالغة في الدعاء عليه في الكرة الثانية»[6].

---

(١) أولى ما قيل: ١٣/١.

(٢) المصدر نفسه: ١١٧/١.

(٣) إرشاد العقل السليم: ١٧٠/١.

(٤) ينظر: أنوار التنزيل: ٤١٥/١، والسراج المنير: ٨٨/١، وروح المعاني: ٤٠١/١.

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٤٧/٢، ومدارك التنزيل: ٧٤/١.

(٦) أولى ما قيل: ١١٧/٩.

وهذا ما ذهب إليه أبو حيان قائلاً: «وجاء التكرار بثم ليدل على إن الثانية أبلغ من الأولى للتراخي الذي بينهما»[1]. في حين ذكر ابن جزي إلى معنى التأكيد قائلاً: «دعاء عليهم وكرره تأكيداً لذمه وتقبيح حاله»[2]، وهذا ما ذكره ابن عطية[3].

وكما يتكرر الاسم يتكرر الحرف، فيكون له غرضه البلاغي، ومنه قوله تعالى: ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴾ [الصافات: ١٦-١٧]، قال رشيد: تكرير الهمزة للمبالغة والتشديد[4].

وهذا ما ذكره البيضاوي قائلاً: «وكرر الهمزة مبالغة في الإنكار وإشعاراً بأنَّ البعث مستنكر في نفسه وفي هذه الحالة فهو أشد استنكاراً فهو أبلغ»[5].

٥- التذييل:

التذييل في اللغة: الذيل: آخر كل شيء، وذيَّل ثوبه تذييلاً أي: طوَّله[6].

وهي **بلاغياً**: أن يذيل الناظم أو الناثر كلاماً بعد تمامه وحسن السكوت عليه بجملة تحقق ما قبلها من الكلام وتزيده توكيداً وتجري مجرى المثل بزيادة التحقيق»[7].

---

(١) البحر المحيط: ٣٦٦/٨.

(٢) التسهيل: ٢٥١/٣.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز: ٣٦٥/٥.

(٤) ينظر: أولى ما قيل: ١٧٣/٧.

(٥) أنوار التنزيل: ٨/٥.

(٦) اللسان، مادة (ذيل)، وينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ١٢٢/٢.

(٧) خزانة الأدب، ص١١٠، وينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ١٢٢/٢.

وقد تناول رشيد الخطيب التذييل في تفسيره في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٥٤].

قال رشيد في بيان فائدة التذييل: «وقوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ تذييل على وجه التعليل لما قبله، وبيان لمنَّة الله العظيمة وإعلان لبابه المفتوح لكل من يريد الوصول والدخول»[1].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣]، قال رشيد: «ثم ذيل الكلام بما زاد في التمنن، بعبارة تشملهم وغيرهم على نهج القرآن في مثل ذلك فقال: ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾»[2].

وقال ابن عاشور: «تذييل لبيان أن فضل الله يعطيه من يشاء»[3].

ويذكر رشيد أيضاً أنَّ من فائدة التذييل التهديد كما في قوله تعالى: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ﴾ [البقرة: من الآية ٩٥]، قال رشيد: «ثم قرر مضمون هذا التسجيل بتذييل متضمن للتهديد فقال: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: من الآية ٩٥] أي: في أمورهم التي من جملتها ادعاء ما

---

(١) أولى ما قيل: ص١٣٠.

(٢) المصدر نفسه: ص٢٩٦.

(٣) التحرير والتنوير: ٢/٢٩٥.

ليس لهم، ونفيه عن غيرهم»[1].

وقال أبو السعود: «والجملة تذييل لما قبلها مقررة لمضمونه أي: عليم بهم»[2]. فهو يذكر غرض التقرير للتذييل. واكتفى الزمخشري والواحدي وأبو حيان[3] بذكر معنى التهديد فقط. في حين ذكر ابن عطية والبيضاوي[4] معنى الوعيد فقط دون التذييل.

ومن التذييل ما يأتي عنده للزيادة كما في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٨]، قال رشيد: «لأنَّ الأمر كله بيده، وليس فوقه أحد يحاسبه. أو المعنى أنه يرزق ويعطي من يشاء بغير تضييق ولا تقتير. وعلى كل فهو تذييل مقرر للزيادة والكرامة التي يعطيها سبحانه للمهتدين في الآخرة فوق استحقاقهم»[5].

وذكر رشيد هذا النوع في مواضع متعددة من تفسيره[6].

٦- التتميم:

جاء في لسان العرب: تمَّ الشيء يتم تمّاً وتُمَّاً وتَمامةً وتَماماً وتِمامة وتُماماً وتِماماً وتُمَّة، وأتمَّه غيره وتممه واستتمه بمعنى، وتمَّمه الله تتميماً وتتمةً، وتمام الشيء وتِمامته وتتمته: ما تمَّ به[7].

---

(١) أولى ما قيل: ص١٦٥.

(٢) إرشاد العقل السليم: ١/١٣٢.

(٣) ينظر: الكشاف: ١/١٩٣، والوجيز: ١/١١٩، والبحر المحيط: ٢/٢٦٥.

(٤) ينظر: المحرر الوجيز: ١/١٦٤، وأنوار التنزيل: ١/٥٤٣.

(٥) أولى ما قيل: ٦/١٨٦.

(٦) ينظر: المصدر نفسه: ٤/٥، و٥/٧١.

(٧) لسان العرب، مادة (تمم)، وينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ٢/٢٧.

وقد تكلم علماء البلاغة عنه فقال القزويني: «هو أن يؤتى في كلام لا وهم خلاف المقصود بفضلة تفيد نكتة»[1].

وقد ذكر رشيد هذا النوع من الإطناب في تفسيره فقال في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ﴾ [إبراهيم: من الآية ٣٩]، : «وفي قوله على الكبر، تتميم أفاد المبالغة في تقدير النعمة واستعظام المنة»[2].

لم أجد من المفسرين ذكر هذا المعنى.

ومنه قوله تعالى: ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ﴾ [البقرة: من الآية ٢٦٦]، قال رشيد: «فإنه تعالى استقصى أوصاف الجنة الممتازة، ليعظم مصاب صاحبها: استقصاها بقوله: ﴿مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾. ثم تمم الوصف بقوله: «تجري من تحتها الأنهار، ثم أكمله بقوله: ﴿فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾، فأتى بكل ما يكون في الجنان الفائقة الممتازة ليشتد الأسف على إفسادها...»[3].

٧- الاعتراض:

الاعتراض لغةً: يقال: اعترض الشيء دون الشيء، أي: حال دونه، واعترض فلان الشيء: تكلفه، واعترض عرضه: نحا نحوه، واعترض له بسهم:

(١) الإيضاح، ص١٩٤، التلخيص، ص٢٣٠.

(٢) أولى ما قيل: ٩٦/٥.

(٣) أولى ما قيل ، ص١٧٧ من المقدمة.

أقبل قبله فرماه فقتله»[1].

واصطلاحاً: هو أن يؤتى في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين معنى بجملة أو أكثر لا محلَّ لها من الإعراب لنكتة»[2].

وتحدث عنه ابن جني قائلاً: «والاعتراض في كلام العرب كثير قد جاء في القرآن وفصيح الشعر ومنثور الكلام، وهو جارٍ عند العرب مجرى التأكيد فلذلك لا يشنع عليهم ولا يستنكر عندهم أن يعترض به بين الفعل وفاعله، والمبتدأ وخبره وغير ذلك مما لا يجوز الفصل فيه بغيره إلا شاذاً أو متأولاً»[3].

ويأتي الاعتراض لأغراض متعددة.

وقد ذكر مفسرنا رشيد الخطيب هذا النوع في مواضع متعددة من تفسيره، ومنها مما جاء في قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٦]، قال رشيد: «وقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ ...﴾ اعتراض قصد به المبالغة في تعظيم مضمون الجملة القسمية، وقوله: ﴿لَّوْ تَعْلَمُونَ﴾ اعتراض في الاعتراض، قصد به الزيادة في التعظيم. أي: أنَّه ليس من الممكن أن تطلعوا عليه اطلاعاً تاماً تفصيلياً لعظم محتوياته»[4].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾ [هود: ٣٥]، قال رشيد: «فهو من الجدل بالَّتي هي

---

(١) اللسان: مادة (عرض)، وينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ١/٢٤٣.

(٢) معجم المصطلحات البلاغية: ١/٢٢٧.

(٣) الخصائص: ١/٣٣٥.

(٤) أولى ما قيل: ٨/٢٠٠.

أحسن... وقد جاءت معترضة في قصة نوح والاعتراض بالجمل أثناء القصص والمواعظ وغيرهما معهود في القرآن. ومن ذلك الاعتراض بالوصية بالوالدين أثناء موعظة لقمان لابنه. وكذلك قوله تعالى في سورة طه: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾ إلى قوله: ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: من الآية ٥٥]. فقد جاء معترضاً في المحاورة بين موسى عليه السلام وفرعون»[١].

وبعد ذلك يذكر رشيد فوائد الاعتراض ناقلاً من صاحب المنار ما قوله: «وللجمل والآيات المعترضة في القرآن حكم وفوائد يقتضيها تلوين الخطاب، ومنها: تنبيه الأذهان وتجديد النشاط في الانتقال من موضوع إلى آخر، والتشويق إلى سماع بقية الكلام الأول، بقطعه والانتقال إلى موضوع آخر، ثم العودة إلى إتمامه».

٨- وضع الظاهر موضع المضمر والعكس:

ومن سنن القرآن التي ذكرها رشيد ذكر المظهر في موضع المضمر والعكس قائلاً ما نصه: «ومن سننه، أي: القرآن الكريم - أن يذكر المظهر في موضع المضمر، إيذاناً بالتعليل بالوصف الذي يدل عليه المظهر، وبياناً لموجب الحكم وتقريراً لحكم عام يدخل فيه مدلول ذلك المضمر وغيره، وتسجيلاً بالوصف على أولئك الموصوفين به إلى أمثال ذلك، كما في قوله تعالى: ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [البقرة: ٩٠]، ولم يقل ولهم عذاب مهين»[٢].

---

(١) ينظر: أولى ما قيل: ٤/٢٣٦-٢٣٧، وينظر: تفسير المنار.

(٢) أولى ما قيل، ص٤٢ من المقدمة، وص١٢٩.

ويذكر رشيد الغرض البلاغي لهذا الأسلوب قائلاً في قوله تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ﴾ [البقرة: ٢٨٤]: «وقد يكون الإظهار لتربية المهابة في أذن السامع ويكون ذلك بذكر لفظ الجلالة في موضع ضميره»(١). فأظهر لفظ الجلالة في آخر الآية بدل الضمير الذي يعود عليه في لفظه الأول الذي تقدم.

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾ [الأعراف: ١٧٠]، قال رشيد: «وأقام المظهر مقام المضمر للإيماء بالمد والعلّة»(٢).

وذكر رشيد هذا الأسلوب في مواضع متعددة في تفسيره(٣).

ومن مقاصد وضع المضمر موضع المظهر مما قاله رشيد: «أن يعود الضمير على ما يدركه الذهن وإن لم يتقدم له معنى، أو على ما يفهم من السياق، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ ﴾ [فاطر: ٤٥]، أي: على ظهر الأرض؛ إذ لا يجهل الذهن أنَّها المراد، وكقوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ﴾ [البينة: من الآية ٦]، أي: في جهنم»(٤).

---

(١) المصدر نفسه: ٢٧٣/١، ص٤٢ من المقدمة.

(٢) المصدر نفسه: ٦٤/٤.

(٣) ينظر على سبيل المثال لا الحصر: ٥٤/٤، ١٢٩/٤.

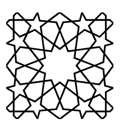
(٤) أولى ما قيل، ص٤١ من المقدمة. وانظر في الصفحة نفسها أمثلة أخرى ذكرها رشيد في هذا الصدد.

۹- استعمال الأفعال:

وللشيخ رشيد لفتات بلاغية رائعة عند استعمال الأفعال، يوقفنا فيها على ما تحتويه من أسرار.

ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠]، قال رشيد: «وذلك من بلاغة القرآن العالية، وذكره في الثاني فقال: «أم أراد بهم ربهم رشداً» وذلك لتنسب إرادة الخير إلى الله دون الشر، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠]، حيث نُسب المرض لنفسه ونُسب الشفاء لله، لأنَّ الشر سواءٌ كان مرضاً أو غيره إنَّما يكون بصنع الإنسان وانحرافه عن قوانين الطبيعة»[١]. فكان هنا استعمال صيغة البناء للمجهول في موضع دون آخر.

ومنه أيضاً استعمال المضارع دون الماضي لإفادة الاستمرار في الحدث وتجدده آناً بعد آن، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِۗ﴾ [الرعد: من الآية ٢٨] فقال مُبيناً أنَّ: «العدول إلى صيغة المضارع لإفادة دوام الاطمئنان وتجدده كلما تجددت الذكريات»[٢].



---

(١) أولى ما قيل: ٩/١٠٣-١٠٤.

(٢) المصدر نفسه: ٥/٧١.

الفَصْلُ الثَّانِي

علم البيـــــان

الفَصْلُ الثَّانِي

علم البيـــان

البيان في اللغة: ما يبين به الشيء، من الدلالة وغيرها. وبانَ الشيء: اتَّضح فهو بينٌ واستَبان الشيء: ظَهَرَ. والبيانُ الفصاحَةُ واللُّسنُ، كَلامٌ بيِّنٌ فَصِيحٌ. والبَيانُ الإفصَاح مَع ذَكَاء، والبَيِّنُ مِنَ الرِّجَالِ: الفصيحُ والسَّمحُ اللِّسان، وفلان أبينُ من فلان أي: أفصحُ مِنهُ وأوضَحُ كَلاماً، والبَيان: إظهار المقصود بأبلغِ لفظ، وهو من حسن الفهم وذكاءِ القلب مع اللُّسن، وأصله الكشف والظهور»[1].

البيان في الاصطلاح: فقد عرَّفه السكاكي بقوله: «هو إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه والنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه»[2]، وبذلك أصبحت كلمة (البيان) عنوان علم له أصول وقواعد يمكن بواسطتها إبراز المعنى بصورة مختلفة بعضها أوضح من بعض، مع مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

وقد عرف القزويني البيان فقال: «هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطريقة مختلفة في وضوح الدلالة عليه»[3]. وهذا التعريف هو ما استقر عليه البلاغيون، وفائدة علم البيان هي الاحتراز عن التعقيد المعنوي بصوره المختلفة أو فهم ما في الكلام العربي من المجاز والكناية والتشبيه والوقوف على أسرار

---

(١) لسان العرب، مادة (بين).

(٢) مفتاح العلوم، ص٧٧.

(٣) الإيضاح، ص٢٠١.

بلاغته والإتيان بما تشبهها في الأسلوب.

ولعلم البيان مكانة مرموقة في علم البلاغة يدل على ذلك قول الجرجاني: «إنَّك لا ترى علماً هو أرسخ أصلاً، وأسبق فرعاً، وأحلى جَنىً، وأعذب ورداً، وأكرم إنتاجاً، وأنور سراجاً، من علم البيان الذي لولاه لم تر لساناً يحوك الوشي، وهو يصوغ الحلي، ويلفظ الدّر»[1].

❑ علم البيان عند رشيد الخطيب:

تناول رشيد الخطيب علم البيان بالتحليل والدراسة فذكر التشبيه والحقيقة والمجاز بأنواعه المختلفة والاستعارة والكناية وسنوضح كل واحدة منها:

---

(١) دلائل الإعجاز، ص٤.

المبحث الأول

التشبيه

التشبيه لغةً: الشَبَه والشَبيه المثل، أشبه الشيءَ، وأشبهت فلاناً وشابهته واشتبه علي، وتشابه الشيئان واشتبها: أشبه كل واحد منهما صاحِبه، والتشبيه: التمثيل[1].

التشبيه اصطلاحاً: هو عقد مشابهة بين شيئين اشتركا في صفة أو أكثر. قال الرماني: «التشبيه هو العقد على إنَّ أحد الشيئين يسد مسدّ الآخر في حسن أو عقل، ولا يخلو التشبيه من أن يكون في القول أو في النفس»[2]. وقال السكاكي: «إنَّ التشبيه مستدع طرفين مشبَّهاً ومشبَّهاً به، واشتركا فيهما من وجه وافترقا من آخر»[3].

وتأتي أهمية التشبيه البلاغية أنَّه يخرج الخفيَّ إلى الواضح ويجعل البعيد قريباً، وقد تناول رشيد الخطيب التشبيه الذي استعان به في إيضاح المعنى القرآني الموجود في التشبيه، ومن أهم صور التشبيه التي ذكرها في تفسيره.

١- التشبيه البليغ:

هو التشبيه الذي يحذف فيه وجه الشبه وأداة التشبيه، وسموا مثل هذا بليغاً لما فيه من اختصار من جهة وما فيه من تصور وتخيل من جهة أخرى؛ لأنَّ وجه الشبه إذا حذف ذهب الظن فيه كل مذهب وفتح باب التأويل، وفي ذلك ما يكسب التشبيه قوة وروعة وتأثيراً. قال المصري: «حد التشبيه

---

(١) لسان العرب، مادة (شبه).

(٢) النكت في إعجاز القرآن: ص٧٤.

(٣) مفتاح العلوم، ص١٥٧.

البليغ إخراج الأغمض إلى الأظهر بالتشبيه مع حسن التأليف»[1].

ومنه مما جاء في قوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ﴾ [البقرة: من الآية ٢٢٣]، فالشيخ يذكر في هذه الآية التشبيه من دون بيان نوعه قائلاً: «عقد المشابهة بين الاستيلاد والاستنبات»[2]، وهذا التشبيه حذفت منه أداة الشبه ووجهه، فهو تشبيه بليغ؛ إذ يكون التقدير: نساؤكم كالحرث لكم، أي: كالزرع[3].

٢- التشبيه التمثيلي:

نستطيع أن نلمح (التشبيه التمثيلي) في عدد من التشبيهات التي وقف عندها الشيخ، وإن لم يكن قد أشار إليها صراحةً، ففي معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ﴾ [يونس: من الآية ٢٤]، قال: «وخلاصة المثل، تشبيه سرعة تقضي متاع الحياة الدنيا، بسرعة تقضي رونق النبات الفتان الآخذ بمجامع قلب الإنسان، ولاسيما إذا أصابته آفة قبل الأوان»[4]. وقد ذكر علماء البيان أنَّ هذا من التشبيه المركب، يقال الزمخشري: «هذا من التشبيه المركب، شبهت حال الدنيا في سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بعد الإقبال، بحال بنات الأرض في جفافه وذهابه حطاماً بعد ما

---

(١) تحرير التحبير: ١٠٤/٢، وينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ١٨٠/٢.

(٢) أولى ما قيل: ٢٠٧/١.

(٣) منهج رشيد الخطيب الموصلي في تفسير القرآن، ص٢٣٢.

(٤) أولى ما قيل: ١٩٢/٤.

التف وتكاثر»[1]، وهذا ما ذكره أغلب المفسرين[2].

منه أيضاً ما جاء في قوله تعالى: ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: من الآية ٣١]، قال رشيد: «يمثل الإيمان في علوه بالسماء، ويمثل الشرك والضلال بهذا السقوط والهلاك الرديء... ومحصل الكلام تشبيه لحال المشرك، بحال من يسقط من السماء، فلا يملك لنفسه أمراً، فإما أن يندق ويتفسخ، ويكون نصيب الطير، وإما أن ترمي به الريح في مكان بعيد عن غرضه الذي يرمي إليه، فضلاً عما في ذلك من المهاوي والمهالك، أي: إنَّ الذي يستبدل التوحيد بالشرك يسقط مثل هذا السقوط ويبعد كل البعد عن الحق وعن السعادة في الدارين وأسبابها الصحيحة»[3].

وقد ذكر الرازي كلام الزمخشري في تردد هذا التشبيه بين المفرق والمركب قائلاً: «قال صاحب (الكشاف) إن كان هذا تشبيهاً مركباً فكأنَّه قيل من أشرك بالله فقد أهلك نفسه إهلاكاً ليس وراءه هلاك، بأن صوَّر حاله بصورة حال من خَرَّ من السماء فاختطفته الطير فتفرقت أجزاؤه في حواصلها، أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المهالك البعيدة، وإن كان تشبيهاً مفرقاً فقد شبه الإيمان في علوه بالسماء والذي ترك الإيمان

(١) الكشاف: ٣٢٥/٢.

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم: ١٣٧/٤، وأنوار التنزيل: ١٩٣/٣، والبحر المحيط: ١١٤/٥، ومدارك التنزيل: ١٢٥/٢، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٥٧٤/٣، وفتح القدير: ٦٣٣/٢، واللباب في علوم الكتاب: ٢٩٨/١٠، والتحرير والتنوير: ٥٩/١١.

(٣) أولى ما قيل: ١٣١/٦. وانظر مثال آخر في: ١٢٧/٥-١٢٨.

وأشرك بالله كالساقط من السماء والأهواء التي تتوزع أفكاره بالطير المختطفة والشيطان الذي يطرحه في وادي الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المختلفة»[1].

٣- التشبيه الضمني:

وقال الحلبي والنويري: «هو أن يكون مقصوده التشبيه بشيء فدلَّ ظاهرُ لفظه أن مقصوده غيره»[2].

والتشبيه الضمني هو النوع الوحيد الذي سمّاهُ رشيد في تفسيره محللاً إياه ومبيناً الغرض منه، فعند وقوفه عند قوله تعالى: ﴿**وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ**﴾ [الحجرات: ١٢]، قال: «ثم شبه الغيبة تشبيهاً ضمنياً بأكل لحم الميت، مبالغة في التنفير منها والتقبيح لأمرها، وصاغ العبارة بصيغة الاستفهام التوبيخي التبشيعي للتنبيه على مكان الفعلة عن قبح هذه الخصلة وبشاعتها: «أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه». ثم أردف الإنكار بما لا نزاع عليه، وهو تقرير القبح، فقال: «فكرهتموه»، فأفاد أن كراهة مثل ذلك أمر مقر لدى النفوس، فيجب أن تكون فظاعة الغيبة الشبيه به أمراً مقطوعاً به أيضاً على طريقة قياس النظير. فقد نبه النفوس إلى ما لا تنكر قبحه وبشاعته، ثم قاس عليه ما لم تنبه له، لأنَّها قد استساغته وألفته بتأثير العادة والتكرار»[3].

ولم أجد من المفسرين من ذكر أن في الآية تشبيهاً ضمنياً.

---

(١) التفسير الكبير: ٢٩/٢٣، وينظر: الكشاف: ١٥٥/٣.

(٢) حسن التوسل، ص١١٨، ونهاية الأرب: ٤٤/٧، وينظر: شرح عقود الجمان، ص٩١، ومعجم المصطلحات البلاغية: ١٧٨/٢.

(٣) أولى ما قيل: ١٢٩/٨-١٣٠.

المبحث الثاني
الحقيقة والمجاز

□ الحقيقة:

لغةً: حقّ الأمر يحِق: صار حقاً وثبت، وحق عليه القول وأحققته أنا، وحقّه وحققه. صدَّقه. وحقق الرجل إذا قال هذا الشيء هو الحق[1].

والحقيقة «فعيلة» بمعنى «مفعوله»، واشتقاقها من «حقق الشيء إذا أثبته، ولذلك فهي دلالة اللفظ على المعنى الموضوع له في أصل اللغة[2].

وأما **الحقيقة في الاصطلاح**: فقد جاءت تعريفات علماء البلاغة متعددة، فقد جاءت بألفاظ مختلفة ولكن لها وجه من المعنى، فالحقيقة: هي الكلمة المستعملة فيما وضعت له في اصطلاح التخاطب[3].

وقد ذكر رشيد الخطيب الحقيقة في تفسيره أولى ما قيل، فقد نبَّه على احتمال الحقيقة والمجاز في تفسير طائفة من الآيات بقرينة عقلية، نحو قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: ٧٩]، فقال: «وأما كلمة (وراء) فيحتمل أن تكون بمعناها الحقيقي. ويحتمل أن تكون مستعارة للقوة والتعقيب»[4].

---

(١) لسان العرب، مادة (حقق)، وينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ١٥٣/٢.

(٢) معجم المصطلحات البلاغية: ١٥٣/٢.

(٣) الإيضاح، ص٢٥٠، وينظر: مواهب الفتاح: ٧/٤، وأسرار البلاغة، ص٣٥٥، ومفتاح العلوم، ص١٦٩-١٧٠، والطراز: ٤٧/١، والمثل السائر: ٥٨/١.

(٤) أولى ما قيل: ٢٨/٦.

ويتصل الحمل على المجاز والعدول عن الحقيقة في مواضع بوجهة الشيخ التأويلية وروحه النازعة إلى الإصلاح، وهو مع ذلك لا يرى مانعاً من الجمع بين الوجهين: الظاهر والحقيقي، والتأويلي والمجازي، وهي وجهة لغير واحد من البلاغيين كالرازي وغيره[1]، على نحو ما نجده عند وقوفه في قوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِيٓ أَعْنَاقِهِمْ﴾ [الرعد: من الآية ٥]، فقال: «أغلال التقليد الأعمى والضلال، وبمعنى مغلولون يوم القيامة بأغلال العذاب، أو المعنيان معاً جمعاً بين الحقيقة والمجاز. وذلك من خصائص اللغة وأساليب القرآن»[2].

❑ المجاز:

لغةً: جِزْتُ الطريق وجَازَ الموضِعُ جَوازاً، وجَازَ به وجَاوزَهُ وأجازَهُ غَيرَهُ وجَازهُ وَجَاوَزَهُ وأجازَ غَيرُه، وجَازَهُ، سَارَ فيهِ وَسَلَكَهُ وجَاوزتَ المُوضِعَ جَوَازاً بِمعنى جِزْتَهُ. والمَجازُ والمَجَازَةُ: المُوضِعُ[3].

وقال الجرجاني: «مصدر ميمي على وزن (مفعل) معناه الجواز والتعدية من جاز الشيء إذا تعداه»[4].

اصطلاحاً: عرفه الجرجاني بقوله: «وأما المجاز فكل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول فهي مجاز، وإن شئت قلت: كل كلمة جزت بها ما وقعت له في وضع الواضع إلى ما لم توضع له من غير أن تستأنف فيها لملاحظة بين ما تجوز بها إليه وبين أصلها

---

(١) منهج رشيد الخطيب الموصلي في تفسير القرآن، ص٢٣٣.

(٢) أولى ما قيل: ٥/٥٩، وينظر أمثلة أخرى في ٥/١٥.

(٣) لسان العرب: مادة (جوز).

(٤) أسرار البلاغة، ص٣٠٠.

الذي وضع له في وضع واضعها، فهي مجاز»[1].

وعرفه السيوطي بقوله: «المجاز استعمال اللفظ فيما لم يوضع له»[2].

وقد أولى الشيخ رشيد المجازات في القرآن أهمية كبيرة، ووضع لها مكان في مقدمته بعنوان (المجازات في القرآن)[3] عدد فيها أنواع كثيرة من المجازات بجميع أنواعها.

ومن صور المجاز التي ذكرها رشيد في تفسيره:

أ – المجاز العقلي:

هو المجاز الذي يكون في الإسناد أو التركيب وقد سمي كذلك؛ لأنَّه متلقى من جهة الإسناد وهو المجاز العقلي[4].

والحقيقة أنَّ هذا النوع من المجاز تستعمل فيه المفردات استعمالها الأساسي وفي موضوعها الأصلي ويكون عن طريق الإسناد.

وسماه الجرجاني (المجاز الحكمي) واشترط له شرط الإسناد في (دلائل الإعجاز)[5]، في حين سماه (المجاز العقلي)[6] في أسرار البلاغة.

ويرجع الفضل في القول فيه، وفي فصله عن المجاز اللغوي إلى عبد القاهر الجرجاني، الذي عني به، وسماه مجازاً حكمياً، ومجازاً في الإثبات وإسناداً

---

(١) المصدر نفسه، ص٢٦٣.

(٢) الإتقان: ١٠٧/٤، وشرح عقود الجمان، ص١٠٠.

(٣) ينظر: أولى ما قيل، ص١٩٤-٢٠٦ من المقدمة.

(٤) التبيان، ص١٠٦، والإتقان: ٣٦/٢، وينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ١٩٩/٣.

(٥) ينظر: دلائل الإعجاز، ص٢٢٧-٢٢٨.

(٦) ينظر: أسرار البلاغة، ص٢٧٥.

مجازياً، ومجازاً عقلياً[1].

وقد عرّفه السكاكي قائلاً: «هو الكلام المفاد به خلاف ما عند المتكلم من الحكم لضرب من التأويل إفادة للخلاف لا بوساطة وضع كقولك: أنبت الربيع البقل»[2].

❑ المجاز العقلي عند رشيد الخطيب:

يصرح رشيد غالباً باسم المجاز العقلي محللاً ومعللاً، ومن المعروف أنَّ هناك علاقات للمجاز العقلي، ومن هذه العلاقات الواردة في تفسير أولى ما قيل هي:

١. الفاعلية:

وفيما يسند الوصف المبني للمفعول إلى الفاعل أي: يستعمل اسم المفعول مكان اسم الفاعل، ومن هذا النوع ما ذكره رشيد في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥] فقال: «ومن مباحث اللفظ أن اسم المفعول هنا استعمل بدل صيغة اسم الفاعل، مبالغة في مدلوله. على طريق المجاز العقلي»[3].

وقال البقاعي: «حجاباً مستوراً» مالئاً لجميع ما بينك وبينهم مع كونه ساتراً لك عن أنْ يدركوك حقَّ الإدراك... وذلك أبلغ في العظمة وأعجب في نفوذ الكلمة ومستوراً بمعنى ساتر»[4].

---

(١) التعريفات، ص١٤١.

(٢) مفتاح العلوم، ص١٨٥.

(٣) أولى ما قيل: ١٧٦/٥.

(٤) نظم الدرر: ٣٨٧/٤.

وهذا التفسير قاله أكثر المفسرين[1].

٢- المفعولية:

هو ما بني للفاعل وأُسنِدَ إلى المفعول به الحقيقي، وقد ورد هذا الأسلوب في تفسير أولى ما قيل في مواضع متعددة، منها ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [الحاقة:٢١]، قال رشيد: «أي: مرضية، فاستعمل اسم الفاعل موضع اسم المفعول، على طريقة المجاز العقلي وذلك من خصائص اللغة، للمبالغة في الوصف»[2].

وهذا ما ذكره القرطبي في تفسيره معتمداً رأي الفراء، راضية أي: مرضيَّة[3] وكذلك أبو حيان[4].

وقد ذكر رشيد الخطيب فائدة هذا المجاز العقلي وهو للمبالغة في الوصف[5]، وذكر البقاعي أن غرض المجاز العقلي البلاغي هو للمبالغة والتشويق[6]، وهذا ما

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز: ٣/٥٠٩، والكشاف: ٢/٤٥١-٥٤٢، والجامع لأحكام القرآن: ١٠/٢٧١، وأنوار التنزيل: ١/٥٧٢، والتسهيل: ٢/١٠٦، والبحر المحيط: ٦/٣٩، والسراج المنير: ٢/٢٤٢.

(٢) أولى ما قيل: ٩/٨٧.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ١٨/٢٤٩، وينظر: معاني القرآن: ٣/٣٨٥.

(٤) ينظر: البحر المحيط: ٨/٣١٩، والمحرر الوجيز: ٥/٣٣٣، والكشف والبيان: ١٠/٣٠، ولباب التأويل: ٧/١٤٥، والنكت والعيون: ٦/٨٣، وزاد المسير: ٤/٣٩٣، وروح المعاني: ٢٢/٩٥، والمزهر: ٢/٩٣.

(٥) أولى ما قيل: ٩/٨٧.

(٦) ينظر: نظم الدرر: ٢٠/٣٦٣.

لم نجده عند أغلب المفسرين[(١)] وهم لم يذكروا صراحة المجاز العقلي بل صرَّحوا بلفظ المجاز، أو الإسناد.

ومن هذه العلاقة أيضاً مما جاء في قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ﴾ [النازعات: من الآية ١٠]، قال رشيد: «وتسميتها حافرة مع إنَّها محفورة مجاز عقلي من ذكر اسم الفاعل مكان اسم المفعول، مثل: حجرة مضيئة. فهي على حد قوله تعالى: ﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [الحاقة: من الآية ٢١]»[(٢)].

وقال الرازي: «يقال رجع فلان في حافرته أي: في طريقه التي جاء فيها فحفرها أي: أثر فيها بمشيه فيها أي: جعل أثر قدميه حفراً فهي في الحقيقة محفورة إلا أنَّها سميت حافرة كما قيل في عيشة راضية»[(٣)].

وإلى هذا التفسير ذهب أكثر المفسرين[(٤)].

وذكر رشيد هذا النوع في مواضع متعددة في تفسيره[(٥)].

٣- المكانية:

وفيها يسند الفعل إلى المكان وهو في الحقيقة مبني للفاعل، كقوله تعالى:

---

(١) ينظر: الكشاف: ١٥٣/٤، والجامع لأحكام القرآن: ٢٤٩/١٨، والتسهيل: ١٤٣/٤، والبحر المحيط: ٣٢٥/٨، وأنوار التنزيل: ٥٢٢/٢.

(٢) أولى ما قيل: ١٤٨/٩.

(٣) التفسير الكبير: ٣٣/٣١.

(٤) ينظر: إرشاد العقل السليم: ٩٧/٩، والمحرر الوجيز: ٤٤/٥، والتسهيل: ٢٨٧/٣، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٤٤٠/٦، وفتح القدير: ٥٢٧/٥، والجواهر الحسان: ٣٨٤/٤، والبحر المديد: ٣٤٦/٨.

(٥) ينظر: أولى ما قيل: ١٤٣/٩، ٢٤١/٩.

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴾ [الحجر: ٧٥-٧٦]، قال رشيد: «وفي كلمة مقيم مجاز عقلي؛ لأنَّها في الحقيقة صفة لإطلال تلك القرى، بمعنى أنَّها باقية إلى الآن، ولكن وصل بها السبيل أي: الطريق كما يقال نهر جار فيوصف بصفة الماء فيه...والمراد من قوله وإنَّها لبسبيل مقيم، أنَّ إطلالها ظاهرة على هذا الطريق»(١).

٤- السببيَّة:

وفي هذه العلاقة المجازية يسند الفعل، أو ما في معناه إلى سببه، كقوله تعالى: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [إبراهيم: من الآية ٣٦]، قال رشيد: «أي: ضلوا بأتباعها وعبادتهم لها، تقربهم إلى الله زلفى. وفي إسناد الإضلال إليها تجوز معروف مثله في خصائص اللغة ويسمى في عرف البلاغة الإسناد إلى السبب»(٢).

وقال البيضاوي: « فذلك سألت منك العصمة واستعذت بك من إضلالهن وإسناد الإضلال أليست باعتبار السببية»(٣).

وذكر البقاعي هذه العلاقة بقوله: «إسناد مجازي علاقته السببية»(٤).

٥- المصدريَّة:

وتذكر فيما بني للفاعل أو للمفعول وأسند إلى المصدر، كقوله تعالى: ﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ ﴾ [يوسف: من الآية ١٨]، فهنا مبني للمفعول

---

(١) أولى ما قيل: ٥/١١٥.

(٢) المصدر نفسه: ٥/٤٩.

(٣) أنوار التنزيل: ٣/ ٣٥١.

(٤) نظم الدرر: ٤/ ١٩٠، وينظر: البحر المديد: ٣/٥٤٤.

ولكنه اسند إلى المصدر، قال رشيد: «والعرب تضع المصدر موضع الصفة للمبالغة في الوصف، وإنما قال على قميصه ليصور للقارئ والسامع أنه موضوع وضعاً مصنعاً»[1].

قال البقاعي: «بدم كذب»، أي: مكذوب، أطلق عليه المصدر مبالغة؛ لأنَّه غير مطابق للواقع، لأنَّهم ادعوا أنه دم يوسف عليه السلام والواقع أنه دم سخْلة ذبحوها ولطخوه بدمها...»[2].

وهذا ما نهج عليه أغلب المفسرين[3].

ب- المجاز اللغوي:

١- الاستعارة:

وهي **في اللغة:** مأخوذة من العارية أي: نقل الشيء من شخص إلى آخر حتى تصبح تلك العارية من خصائص المُعار إليه. والعَارية والعارة: ما تداولوه بينهم، وقد أعَارَ الشيء أعَارَهُ منه وعاورَهُ إياه. والمعاورة والتَّعاور شِبْه المَدَاوَلة والتَداول يكون بين اثنين. وتعور واستعار: طلب العَارية[4].

ويعد الجاحظ أول من عرفها بقوله: «الاستعارة تسمية الشيء باسم

(١) أولى ما قيل: ١٣/٥.

(٢) نظم الدرر: ١٧/٤.

(٣) ينظر: إرشاد العقل السليم: ٢٥٠/٤، والمحرر الوجيز: ٢٣٩/٣، والتفسير الكبير: ٨٢/١٨، ولباب التأويل: ٢٦٩/٣، وأنوار التنزيل: ٢٧٨/٣، وبحر العلوم: ١٨٤/٢، والنكت والعيون: ٢١٥/٣، والسراج المنير: ٧٧/٢، واللباب في علوم الكتاب: ٤٠/١١، والبحر المديد: ٣٦١/٣، والتحرير والتنوير: ٣٦/١٢.

(٤) لسان العرب، مادة (عور).

غيره إذا قام مقامه»[١].

واهتم ابن قتيبة بالاستعارة اهتماماً كبيراً؛ إذ بدأ مباحث المجاز بها؛ لأنَّ أكثره يقع فيه، وقال فيها: «فالعرب تستعير الكلمة فتضعها مكان الكلمة إذا كان المسمّى بها بسبب من الأسباب الأخرى ومجاوراً لما أو مشاكلاً»[٢].

وعرفها الجرجاني بقوله: «الاستعارة أن تريد تشبيه الشيء بالشيء وتظهره وتجيء إلى اسم المشبه به فتعيره المشبه وتجريه عليه»[٣].

واستقر تعريف الاستعارة عند السكاكي حين قال: «هي أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر مُدَّعياً دخول المشبّه في جنس المشبّه به دالاً على ذلك بإثبات للمشبّه بما يخص المشبّه به»[٤].

وهذا هو التعريف المشهور الذي سار عليه العلماء.

والاستعارة تتألف من ثلاثة أركان، وهذه الأركان هي: المستعار منه، وهي المشبه به والمستعار له وهو المشبّه والمستعار ويقصد به اللفظ المنقول.

وقد قسم الجرجاني الاستعارة على مفيدة وغير مفيدة[٥].

ثم جاء القزويني والسكاكي وقسّما الاستعارة على أنواع متعددة سنتعرف عليها من خلال تناول رشيد الخطيب لها في تفسيره.

---

(١) البيان والتبيين: ١/١٥٣، ٢٨٤، والحيوان: ٢/٢٨٠-٢٨٣.

(٢) تأويل مشكل القرآن، ص١٠٢.

(٣) دلائل الإعجاز، ص٥٣.

(٤) مفتاح العلوم، ص١٧٤.

(٥) ينظر: أسرار البلاغة، ص٢٢.

١- الاستعارة الأصلية:

وهي الاستعارة التي يكون فيها اللفظ المستعار اسماً جامداً غير مشتق وقد عرَّفها السكاكي فقال: «هي أن يكون المستعار اسم جنس كرجل وكقيام وقعود. ووجه كونها أصلية هو أن الاستعارة مبناها على تشبيه المستعار بالمستعار منه»[(١)].

ومنه مما جاء في قوله تعالى: ﴿لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [إبراهيم: من الآية ١]، قال رشيد الخطيب: «بدعائك إياهم إلى ما تضمنه من البيان لسبل الرشاد وتنقذهم بذلك «من الظلمات» والضلال «إلى النور» والهدى، واستعارة الظلمات للضلال والنور للهدى من خصائص اللغة ومعروف في تعابير القرآن»[(٢)].

وقد فسر أغلب المفسرين الآية من دون ذكر لفظ الاستعارة، وقد ذكرها الشوكاني بقوله: «لتخرجهم من ظلمات الكفر والجهل والضلالة إلى نور الإيمان والعلم والهداية ما جعل الكفر بمنزلة الظلمات والإيمان بمنزلة النور على طريق الاستعارة»[(٣)].

٢- الاستعارة بالكناية:

وتسمى المكني عنها أو المكنية وهي تشبيه حذف منه المشبه به وَكُنِيَّ عنه بشيء من لوازمه. وقد عرفها السكاكي فقال: «هي أن تذكر المشبّه وتريد المشبّه به دالاً على ذلك بنصب قرينة تنصبها وهي أن تنسب إليه وتضيف

---

(١) مفتاح العلوم، ص١٧٩.

(٢) أولى ما قيل: ٥/٨١.

(٣) فتح القدير: ٣/١٣٢.

شيئاً من لوازم المشبّه به المساوية»[1]، ومنه مما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ﴾ [الأعراف: من الآية ١٥٤]، قال رشيد: «وقد استعار صفة الغضب للإشارة إلى أنه هو الذي كان يغريه بالكلام»[2].

قال الآلوسي: «وفي الكلام استعارة مكنية حيث شبه الغضب بشخص نآه آمر وأثبت له السكوت على فريق التخييل»[3]. واقتصر الرازي على ذكر لفظ الاستعارة فقط[4].

ويصرح رشيد الخطيب في قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾ [التوبة: ١٠٩] بوجود استعارتين: مكنية وتمثيلية، فيقول: «ومن مباحث اللفظ أنه استعار المكان القوي، للتقوى استعارة مكنية، واستعار شفا جرف هار، للكفر والنفاق استعارة تمثيلية وعقد المشابهة بينهما»[5]. وتحليل الشيخ هنا ينبئ عن فهم دقيق للاستعارة، فالأولى حذف فيها المشبه به، وهو البناء الذي شبهت به التقوى، وترك شيء، من لوازمه وهو أسس البنيان والثانية تشبيه صورة النفاق بما فيه من تناقل وتذبذب -وهي صورة معقولة- بحال بناء قائم على شفا جُرُفٍ هارٍ - وهي صورة محسّة-، لما بينهما من وشيجة عدم الاستقرار. وتوقع الانهيار والسقوط، ثم

(١) مفتاح العلوم، ص١٧٩.

(٢) أولى ما قيل: ٥٥/٤.

(٣) روح المعاني: ٧١/٩.

(٤) ينظر: التفسير الكبير: ١٣/١٥.

(٥) أولى ما قيل: ١٦٩/٤.

حذف الصورة الأولى المشبه، وبقيت الثانية المشبه به[1].

ولم أجد من المفسرين من ذكر هذا التفسير، وذهب ابن عاشور إلى أنَّها استعارة تصريحية[2]، واقتصر ابن جزي بذكر الاستعارة فقط[3].

٣- الاستعارة التجريدية:

وهي الاستعارة التي يلتحق بها صفات تلائم المستعار له، وقال عنها السكاكي: «أي: أنَّها تكون تجريدية إذا عقبت بصفات ملائمة للمستعار له أو تفريع كلام ملائم له»[4].

ومثاله مما جاء في قوله تعالى: ﴿فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ﴾ [النحل: من الآية ١١٢]، حيث قال: «أذاقها» ولم يقل «كساها» فإن المراد بالإذاقة إصابتهم بما استعير له اللباس كأنَّه قال: فأصابها الله بلباس الجوع والخوف. وقال رشيد الخطيب: «وفي الكلام استعارة بديعية مزدوجة من صفات المطعوم والملبوس»[5].

قال الشوكاني: «وقد أجاب العلماء أن هذا من تجريد الاستعارة وذلك أنَّه استعار اللباس لما خشي الإنسان من بعض الحوادث كالجوع والخوف لاشتماله عليه اشتمال اللباس على اللابس ثم ذكر الوصف ملائماً للمستعار له وهو الجوع والخوف؛ لأنَّ إطلاق الذوق على إدراك الجوع والخوف جرى

---

(١) منهج رشيد الخطيب الموصلي في تفسير القرآن الكريم، ص٢٣٨.

(٢) التحرير والتنوير: ٢٠٦/١٠.

(٣) التسهيل: ٤٧٣/١.

(٤) مفتاح العلوم، ص١٨٢.

(٥) أولى ما قيل: ١٥٣/٥، وينظر: الإيضاح، ٢٨١.

عندهم مجرى الحقيقة فيقولون ذاق فلان البؤس والضر وأذاقه غيره فكانت الاستعارة مجردة ولو قال فكساها كانت مرشحة»[1].

وذكر أبو السعود لفظ الاستعارة فقط[2].

٤- الاستعارة التصريحية:

وهي الاستعارة التي يحذف فيها المشبه وصرّح بالمشبّه به، وعرفها السكاكي فقال: «أنْ يكون الطرف المذكور من طرفي التشبيه هو المشبه به»[3].

ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾ [إبراهيم: من الآية ٤٦]، قال رشيد: «ويكون قد استعار الجبال لحجج القرآن القوية ودلائل النبوة الثابتة»[4] وهي استعارة تصريحية فقد شبه الحجج بالجبال، فحذف المشبه وأبقى المشبه به. وإن لم يُصرح رشيد بذلك واكتفى بذكر لفظ الاستعارة.

وفسر الزمخشري الآية من دون ذكر الاستعارة فقال: «وإن عظم مكرهم وتبالغ في الشدة، فضرب زوال الجبال منه مثلاً لتفاقمه وشدته، أي: وإن كان مكرهم مسوى لإزالة الجبال، معداً لذلك»[5].

وقال الرازي: «والمعنى: وما كان مكرهم لتزول منه الجبال أي: وكان مكرهم أوهن من أن تزول منه الجبال الراسيات التي هي دين محمد ﷺ

---

(١) فتح القدير: ٢٨٥/٣.

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم: ١٤٥/٥.

(٣) مفتاح العلوم، ص١٧٦.

(٤) أولى ما قيل: ٩٨/٥.

(٥) الكشاف : ٥٢٩/٢.

ودلائل شريعته»[1].

وقال أبو حيان: «والذي يظهر أن زوال الجبال مجاز ضرب مثلاً لمكر قوي، وعظمة الجبال لا تزول، وهذا من باب الإيغال والمبالغة في ذم مكرهم»[2].

٥- الاستعارة التمثيلية:

عرفها السيوطي بقوله: «هي أن يكون وجه الشبه فيها منتزعاً من متعدد»[3]، ومثاله قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ﴾ [غافر: من الآية ٣٣]، قال رشيد: «ويجوز أن يكون الكلام استعارة تمثيلية من حالة الإبل النافرة من شدة الخوف. وتفرّ مدبرة، مثل به شدة خوفهم في موقف الحساب[4].

ولم يذكر أحد من المفسرين أن في الآية استعارة تمثيلية، وقد انفرد رشيد في هذا التفسير للآية الكريمة.

ومنه أيضاً ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣]، وإن لم يقطع بذلك فيقول: «يحتمل أن تكون هذه الآية عبارة عن دخول أهل الجنة، وأهل النار، وتلمح إلى ما يكون بينهم من عزلة تامة، إلا من ناحية خاصة وهي معرفة البعض بأحوال بعض، ومكالمتهم المحدودة التي كنّى عنها بالباب... فقد عقد المشابهة بين هذه العزلة إلا من وجه خاص وبين السور الذي له باب على طريقة الاستعارة

---

(١) التفسير الكبير: ١٩/١١٤.

(٢) البحر المحيط: ٥/٤٢٦.

(٣) معترك الأقران: ١/٢٨٣.

(٤) أولى ما قيل: ٧/٢٤٤.

التمثيلية هذا ما أراه والله أعلم»[1].

ولم أجد من المفسرين من ذكر الاستعارة في هذه الآية الكريمة.

٦- الاستعارة التهكمية:

وتسمى الاستعارة التلميحية، وهي استعمال الألفاظ الدالة على المدح في نقائضها من الذم والإهانة[2]. ومن الاستعارة التهكمية ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴾ [الشمس: ١٥]، قال رشيد: «وهذه جملة تهكمية مستعارة من حال المخاطبين»[3].

ولم أجد من المفسرين من ذكر الاستعارة في هذه الآية الكريمة.

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ ﴾ [البقرة: من الآية ١٦]، قال رشيد: «صور ذلك بصور خسارة التجارة على طريقة الاستعارة التهكمية. وهي من البلاغة بمكان، والجملة ترشيح للشراء في الجملة التي قبلها، ثم مكن المعنى وجود الاستعارة بقوله: ﴿وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴾ [البقرة: من الآية ١٦]»[4].

وذهب السيوطي إلى أن الاستعارة هي بالكناية قائلاً: «استعير الاشتراء للاستبدال ثم فرع عليهما بما يلائم الاشتراء من الربح والتجارة أو اضمر التشبيه في النفس فلم يصرح بشيء من أركانه سوى المشبه فبالكناية أي: فهو

---

(١) أولى ما قيل : ٢١٢/٨.

(٢) معجم المصطلحات البلاغية: ١٥٨/١.

(٣) أولى ما قيل: ٢٠٨/٩.

(٤) المصدر نفسه: ١/٢٠-٢١.

استعارة بالكناية»[1].

وقال البيضاوي: «ترشيح للمجاز لما استعمل الاشتراء في معاملتهم أتبعه بما يشاكله تمثيلاً لخسارتهم»[2] وهذا ما ذكره النسفي وابن جزي وابن عاشور[3].

٧- الاستعارة التخييلية:

هي أن يستعار لفظ دال على حقيقة خيالية تقدر في الوهم ثم تردف بذكر المستعار له إيضاحاً لها وتعريفاً لحالها. وقد سماها ابن الأثير الحلبي: «استعارة التخييل»[4] وسماها العلوي «الاستعارة الخيالية الوهمية»[5].

ومثالها ما جاء في قوله تعالى: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ [المسد: ٥]، قال رشيد: «... ثم رشح هذا المجاز باستعارة تخييلية تناسبها، لزيادة التقرير والمبالغة في التشنيع فقال: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ أي: في عنقها حبل قوي من ليف تجمع به حطباً كثيراً، لوقود نار الفساد، والفتنة والمشاغبات، يكنّى بذلك عن شدة بالمشاغبة ضد رسول الله ﷺ، وقد استعار هذا المعنى من المرأة المجدة في جمع الحطب لإيقاد النار، يبالغ في البيان عن شدّة سعيها في الفساد والمعارضة لنشر الدعوة وظهور الدين وكبت المسلمين»[6].

قال البيضاوي: «أي: من مسد أي: فتل ومنه رجل ممسود الخلق أي:

---

(١) إتمام الدراية لقراء النقاية، ص١٢٧.

(٢) أنوار التتريل: ١٨٣/١.

(٣) ينظر: مدارك التتريل: ٢١/١، والتسهيل: ٧٣/١، والتحرير والتنوير: ٢٩٦/١.

(٤) جوهر الكتر، ص٥٨، وينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ١٥١/١.

(٥) الطراز: ٢٣٢/١، وينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ١٥١/١.

(٦) أولى ما قيل: ٢٦٩/٩.

مجدوله وهو ترشيح للمجاز أو تصوير لها بصورة الحطّابة التي تحمل الحزمة وتربطها في جيدها تحقيراً لشأنها أو بياناً لحالها في نار جهنم حين يكون على ظهرها حزمة من حطب»[1].

ومن الاستعارة التخييلية ما جاء في قوله تعالى: ﴿ أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِۚ ﴾ [البقرة: ١٩]، قال رشيد: «استعارة تخييلية مبنية على تشبيههم في تغاضيهم عن قوارع هذا النور الساطع، بمن يسد آذانه من الصواعق حذر الموت حماقةً وبلهاً. فقد سيقت هذه الاستعارة لتصوير ناحيتين من نواحي نفوسهم، وبيان أمرين من أمورهم، فهي تصور شدة بلههم وحماقتهم، وتقرر إعراضهم عن الحق الجلي القوي وصممهم وتعاميهم عنه...»[2].

و لم أجد من المفسرين من قال بهذا الرأي.

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ ﴾ [الأعراف: من الآية ١٤٨]، قال رشيد: «وقوله له خوار: استعارة تخييلية رشحت بها الاستعارة الأصلية ليتمكن في الذهن أن الصورة كانت متقنة الصنع فيرتاب الناظر إليها أنها عجل حقيقي من ذوات الخوار، لا صنعي»[3].

ويرى القزويني أنه من استعارة محسوس لمحسوس؛ إذ قال: «إنه استعارة محسوس لمحسوس بوجه حسي... فإن المستعار منه ولد البقرة والمستعار له

---

(١) أنوار التنزيل: ٥/٥٤٥.

(٢) أولى ما قيل: ١/٢٣.

(٣) المصدر نفسه: ٤/٥٣.

الحيوان الذي خلقه الله تعالى من حلي القبط التي سبكتها نار السامري»[1].

وقد أكثر رشيد الخطيب من ذكر مواطن الاستعارة في تفسيره وكان الغالب على ذلك أنه لا يُبين نوعها[2].

۲- المجاز المرسل:

وهو أحد أنواع المجاز اللغوي، وعرفه القزويني قائلاً: «هو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له ملابسة غير التشبيه»[3]. وسمي مرسلاً، لأنَّ الإرسال في اللغة والإطلاق، والمجاز الاستعاري مقيَّد بادعاء أنَّ المشبه من جنس المشبه به، والمرسل مطلق ومحرر من هذا القيد. وقيل: «إنما سمي مرسلاً لإرساله على التقييد بعلاقة هي المشابهة»[4]. وأول من أطلق التسمية هو السكاكي؛ إذ قال: «وغير معناها -أي: الكلمة- إما أن يقدر قائماً مقام معناها بواسطة المبالغة في التشبيه أو لا يقدر والأول هو (الاستعارة) والثاني هو (المجاز المرسل)»[5].

❑ المجاز المرسل عند رشيد الخطيب:

ذكر رشيد الخطيب المجاز المرسل بالتحليل والدراسة وبين فائدته، ومن أنواع المجاز المرسل التي ذكرها في تفسيره.

---

(١) الإيضاح، ص٢٧٦، وينظر: مختصر المعاني، ص٢١٧، وبغية الإيضاح، ص٣٣٠.

(٢) ينظر: على سبيل التمثيل لا الحصر: أولى ما قيل: ٢٦/٤، ١٠١/٤، ١٦٨/٥، ١٧٦/٥، ١٦/٦، ٢٧/٦، ٣٠/٦، ١١٦/٩، ١٥١/٩.

(٣) الإيضاح، ص٢٥٤، التلخيص، ص٢٩٥.

(٤) حاشية الدسوقي: ٢٩/٤.

(٥) مفتاح العلوم، ص١٩٥.

١- إطلاق اسم الكل على الجزء:

نحو قوله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ﴾ [التوبة: من الآية ٨٦]، قال رشيد: «والمراد من السورة آيات في موضوع خاص في السورة من ذكر الكل وإرادة الجزء»[١].

ولم أجد من المفسرين من ذهب إلى هذا القول، سوى الإمام الزمخشري الذي قال: «يجوز أن يراد السورة بتمامها، وأن يراد بعضها»[٢].

٢- إطلاق اسم الجزء على الكل:

ومنه مما جاء في قوله تعالى: ﴿فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴾ [الشعراء: من الآية ٤]، قال رشيد ذاكراً قول الرازي: «قال الرازي: فإن قيل كيف صح مجيء خاضعين خبراً على الأعناق، قلنا أصل الكلام فظلوا لها خاضعين فذكرت الأعناق لبيان موضع الخضوع زيادة في التقرير، ثم ترك الكلام على أصله، يريدان في الكلام مجازاً مرسلاً من ذكر الجزء وإرادة الكل، كما في عتق الرقاب»[٣].

قال أبو السعود: «وأصله فظلوا لها خاضعين فاقتحمت الأعناق لزيادة التقرير ببيان موضع الخضوع وترك الخبر على حاله»[٤]. وهذا قول الخازن والشوكاني[٥].

---

(١) أولى ما قيل: ١٥٩/٤.

(٢) الكشاف: ٢٨٥/٢.

(٣) أولى ما قيل: ٢٢٠/٦، وينظر: التفسير الكبير: ١٠٣/٢٤.

(٤) إرشاد العقل السليم: ٢٣٤/٦.

(٥) ينظر: لباب التأويل: ١١٣/٥، وفتح القدير: ١٣٦/٤.

ومنه قوله تعالى: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾ [النازعات: ٨-٩]، قال رشيد في تفسيره للآية: «ومعنى الخشوع الذلة والاستكانة من شدة الخوف. وقد أعاد الضمير للقلوب فأضاف إليها الأبصار، لما بينهما من ملابسة الاجتماع في جسم واحد. والإضافة تصح في أدنى ملابسة. ويجوز أن يكون إعادة الضمير إليها، باعتبار أصحابها، على طريقة المجاز المرسل من ذكر الجزء وإرادة الكل فأضاف إليها الأبصار؛ لأنَّها جزء من الأصحاب»(١).

وهذا من انفرادات رشيد في تفسير الآية.

٣- إطلاق المسبب على السبب:

ومنه مما جاء في قوله تعالى: ﴿تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: من الآية ٧٤]، قال رشيد الخطيب في تفسير الآية: «﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ بتبديل الشكر بالكفر. وعثى بمعنى أفسد. فالآية تذكرهم بما أنعم الله عليهم من الحضارة والعمران والقوة والبأس والعلم والصناعة، ولاسيما في فن الهندسة والبناء، وتدعوهم إلى شكر الله على هذه النعم. ويجوز أن يراد من نحت الجبال تعبيد الطرق فيها ليتهيأ البناء والسكن عليها. أو المراد نحت الصخر منها لبناء البيوت. وفيه ذكر المسبب وإرادة السبب أو ذكر المحل وإرادة الحال»(٢).

و لم يقل أحد من المفسرين هذا الرأي.

---

(١) أولى ما قيل: ١٤٨/٩.

(٢) المصدر نفسه: ٣٤/٤.

٤- إطلاق السبب على المسبب:

نحو قوله تعالى: ﴿ لَا يَزَالُ بُنْيَـٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ ﴾ [التوبة: من الآية ١١٠]، قال رشيد الخطيب: «ذكر البنيان وأراد سببه بطريقة المجاز المرسل أي: سبب بنيانهم يبقى لها قابلية الإدراك: يبين بذلك أن نفاقهم وكفرهم راسخ فيهم لا يمكن تحويلهم عنه فسيموتون وهم كفار...»[١].

ولم أجد من المفسرين من ذكر أن في الآية مجازاً مرسلاً. بل اكتفوا بقول أنَّ هذا البنيان سبباً لحصول الريبة في قلوبهم[٢] ومنه أيضاً في قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ [يونس: من الآية ٢]، قال رشيد: «والقدم مصدر بمعنى المسابقة استعمل هنا وصفاً مضافاً إليه موصوفه، وذلك من خصائص اللغة. ويجوز أن يُراد بالقدم قدم الرجل ذكر وأُريد به السبق في العمل أو القدوم على الله، من ذكر السبب وإرادة المسبب كإطلاق اليد على النعمة»[٣].

ونقل النحاس عن ابن عباس قوله: «أي: مترل صدق: وقيل القدم العمل الصالح وقيل السابقة...»[٤].

---

(١) أولى ما قيل: ٤/١٦٩.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز: ٣/٩٧، والتفسير الكبير: ١٦/١٥٧، والبحر المحيط: ٥/١٠٥، ولباب التأويل: ٣/١٥٠، والسراج المنير: ١/٥١٤، واللباب في علوم الكتاب: ١٠/٢١٣.

(٣) أولى ما قيل: ٤/١٧٩.

(٤) معاني القرآن: ٣/٢٧٦.

٥- إطلاق المحل على الحال:

ويقصد البلاغيون النسبة إلى المحل، أي: المكان. والمجاز في هذه العلاقة أنَّهم يستعملون اللفظ الدال على المكان، وهم يريدون غير المكان، فتتجاوز إرادتهم المكان إلى من فيه أو ما فيه[1].

ومثاله مما جاء في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، قال رشيد: «أي: وأُوحي إليّ أن العبادة خاصة بالله تعالى ففيه مجاز مرسل من ذكر المحل وإرادة الحال»[2].

و لم أجد من المفسرين من ذكر هذا الرأي.

٦- تسمية الشيء باسم آلته:

والمقصود من هذه العلاقة كون الشيء، واسطة في التأثير عليه يتوقف التأثير والتأثر، إذ به يعالج المؤثر، ومثاله أنْ يذكر اسم ويراد به الأثر الذي يتكون منه، وبذلك يستعمل اللفظ الدال على آلته الشيء مكان الشيء نفسه[3].

ومثله ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: من الآية ١٢]، قال رشيد: «وخص البنان بالذكر مراداً به الأصابع ثم الأكف بطريقة المجاز المرسل، لأنَّها أداة التصرف في الضرب»[4].

و لم أجد من المفسرين من قال أن في الآية مجاز مرسل.

---

(١) صناعة الكتاب، ص٣٣٤.

(٢) أولى ما قيل: ١٠٦/٩.

(٣) ينظر: صناعة الكتاب، ص٢٠١.

(٤) أولى ما قيل: ٨٦/٤.

٧- إطلاق الملزوم على اللازم:

نحو قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الْأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنفال: من الآية ٧٠]، قال رشيد: «وإنَّما قال: إن يعلم الله، بدل أن يكن في قلوبكم خير، لأنَّ الذي يكون، يعلمه الله. فهو تعبير عن الملزوم باللازم»[١].

و لم أجد أحداً من المفسرين من قال بالمجاز المرسل في هذه الآية.

❑ مجاز التضمين:

وقد عرفه ابن عبد السلام قائلاً: «هو أن تضمن اسماً معنى اسم لإفادة معنى الاسمين فتعديه تعديته في بعض المواطن»[٢]، وقد عرفها رشيد الخطيب بقوله: «مجاز التضمين وهو أن يضمن الكلمة معنى كلمة أخرى فيعديها تعديتها»[٣].

ومن الأمثلة التي ذكرها رشيد لهذا النوع من المجاز قوله تعالى: ﴿فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ﴾ [الحجرات: من الآية ٦]، فقال: «فقد ضمن تبينوا معنى تحذروا، فتكون الكلمة محتملة للمعنيين التبيين والتحذير»[٤].

و لم أجد من المفسرين من ذهب إلى هذا القول.

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ ۖ﴾ [الإسراء: من الآية ٧٣]، قال رشيد: «فقد ضمن

---

(١) المصدر نفسه: ٤/١١٤.

(٢) الإشارة إلى الإيجاز، ص٧٤، وينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ٣/٢١٠.

(٣) أولى ما قيل، ص٢٠١ من المقدمة.

(٤) المصدر نفسه.

فيفتنوك معنى ليصرفوك فأفادت المعنيين معاً»[1].

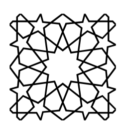
لم أجد من المفسرين من قال بهذا القول.

❑ مجاز التشبيه:

هو التشبيه المحذوف الأداة، وقد أوضح عز الدين بن عبد السلام ذلك بقوله: «العرب إذا شبهوا جرماً بجرم أو معنى بمعنى أو معنى بجرم فإن أتوا بأداة التشبيه كان ذلك تشبيهاً حقيقياً وإن أسقطوا أداة التشبيه كان ذلك تشبيهاً مجازياً»[2].

ومن قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ [طه: من الآية ٨٨]، قال رشيد: «وعندي أن الآية من مجاز تشبيه الأجسام بالأجسام، كقولك لما نحت على صورة الفرس أنه فرس صهال مبالغة في إتقان صنعها»[3].

و لم أجد من المفسرين من ذكر هذا القول.



(١) المصدر السابق، وقد ذكر الشيخ في الصفحة نفسها أمثلة متعددة من هذا المجاز.

(٢) الإشارة إلى الإيجاز، ص٨٥، وينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ٢١٠/٣.

(٣) أولى ما قيل: ٧٢/٦.

المبحث الثالث

الكناية والتعريض

أولاً: الكناية

جاء في اللسان: **الكناية:** «أن تتكلم بشيء وتريد غيره، وكنَّى عن الأمر بغيره يكنى كناية، وتكنَّى: تستر من كَنى عنه إذا روى، أو من الكنية»[1].

وفي في اصطلاح البلاغيين: لفظ أطلق وأريد به لازم معناه الحقيقي مع قرينة لا تمنع من إرادة المعنى الأصلي مع المعنى المراد[2].

ولعل أقدم من تكلم عن الكناية أبو عبيدة (ت٢١٠هـ) في قوله: «ومن مجاز ما يحول خبره إلى شيء من سببه ويترك خبره، هو قوله: ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ [الشعراء: من الآية ٤] حول الخبر إلى كناية التي في أصل الأعناق»[3].

وقد كانت لدراسة قدامة (٣٣٧هـ) لمصطلح الكناية من أهم الدراسات التي انتقلت بالكناية من المفهوم اللغوي إلى المصطلح البلاغي، فهو أول من عرَّفها باسم (الإرداف) وذلك في دراسته لأنواع ائتلاف اللفظ والمعنى، فيقول: «ومن أنواع ائتلاف اللفظ والمعنى والإرداف، وهو أن يريد الشاعر دلالة على معنى من المعاني فلا يأتي باللفظ الدال على ذلك المعنى بل يدل على معنى هو ردفه وتابع له فإذا دل على التابع أبان على المتبوع»[4]، وكان هذا

---

(١) لسان العرب، مادة (كنى).

(٢) ينظر: عروس الأفراح ، ص٢٣٧.

(٣) مجاز القرآن: ١٢/١.

(٤) نقد الشعر ، ص١٥٥.

أول تعريف اصطلاحي عرف به قدامة الإرداف.

وقال أبو هلال العسكري (٣٩٥هـ) عن الكناية: «وهو أن تكنى عن الشيء وتعرض به ولا تصرح على حساب ما عملوا في اللحن والتورية عن الشيء، كما فعل العنبري إذ بعث إلى قومه بِصرّة شوك وصرّة رمل، وحنظلة يريد جاءتكم بنو حنظلة في عدد كثير ككثرة الرمل والشوك»[١].

ودرس ابن رشيق القيرواني (٤٦٣هـ) أسلوب الكناية فهو يشير إليها في أبواب متفرقة؛ إذ تحدث عنها في باب (المجاز) بقوله: «وكذلك الكناية في مثل قوله تعالى إخباراً عن عيسى ومريم -عليهما السلام-: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ [المائدة: من الآية ٧٥] كناية عما يكون عنه في حاجة الإنسان»[٢]، ثم هو يذكرها في باب (الإشارة) أيضاً الذي يشمل على أنواع عدة منها (الإيماء، التفخيم، التعريض، الكناية والتلويح، التمثيل، الرمز، اللمحة، الحذف... الخ).

أما عبد القاهر الجرجاني فقد نهج في تعريفه للكناية نهج قدامة وهو تعريفها بالإرداف؛ إذ يقول: «الكناية أنْ يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ به إليه ويجعله دليلاً عليه»[٣].

وقد تميز تفسير أولى ما قيل بكثرة الكنايات الواردة فيه، فقد أفاد رشيد منها كثيراً في تفسير الآيات، وكان غالباً ما يبين وجه التجوز فيها، وهو يرى

(١) كتاب الصناعتين، ص٣٦٠.

(٢) العمدة: ١/١٦٨.

(٣) دلائل الإعجاز، ص٥٢.

أنَّ الكناية لا يشترط فيها صحة إرادة المعنى الحقيقي على نحو ما أورده في قوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ [هود: من الآية ١٠٨]، حيث قال: «وهذه العبارة تستعملها العرب كناية عن الدوام الدائم، فجرى القرآن في التعبير على حسب عرف التخاطب، على نهجه في مثل ذلك، ولا يشترط في الكناية صحة المعنى الحقيقي ويجوز أن يراد سماء كل من أهل النار وأهل الجنة، وذلك ما فوقهم وما يستقرون عليه»[١].

وما ذكره رشيد هنا هو الفرق بين الكناية والمجاز الذي ليس كناية، لأنَّ المجاز يمتنع فيه إرادة المعنى الحقيقي[٢] وبعض الكنايات لا يمكن أن نحملها على المعنى الحقيقي، ومع ذلك فإنَّ من الباحثين من لا يدخلها في المجاز، والشيخ رشيد منهم.

ويؤكد رشيد على ما ذكره من شروط الكناية، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ [المؤمنون: ٢٧]، قال رشيد: «قيل هي كناية عن شدة الغضب، مثل حمي الوطيس، وقيل كناية عن قوة انبعاث الماء، لأنَّ التنور يطلق على كوة عين الماء، ولا يشترط في الكناية صحة إرادة المعنى الحقيقي كما لا يمتنع، وعليه فيجوز أن تكون الطبيعة أثارت ينابيع أرسلت ذلك الماء، اتفاق أقدار لأقدار والله أعلم. وعلى كل يكون المعنى فإذا اشتد طغيان الماء»[٣].

---

(١) أولى ما قيل: ٢٥٨/٤.

(٢) ينظر: الإيضاح، ص٣٠١.

(٣) أولى ما قيل: ١٥٢/٦.

ويستمر رشيد على تأكيده لشروط الكناية في قوله تعالى: ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ﴾ [القصص: من الآية ٧٦]، فقال: «وهذا تصوير لكثرة خزائنه البالغة الحد، وكناية عن ذلك، والكناية يراد بها لازم معناها، وهو هنا كثرة الخزائن ولا يجب فيها تحقق المعنى الأصلي بل لا يتحقق إلا في القليل من الكنايات»(١).

وقد وردت الكناية في تفسير رشيد الخطيب في مواضع كثيرة ودلَّ عليها وكان غالباً ما يذكر الأغراض البلاغية التي جاءت فيها، ومنها:

❑ الكناية لغرض الاستكبار:

نحو ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٣]، قال رشيد: «وهذا كناية عن الاستكبار والازدراء للنعمة وكفرانها، ومنها نعمة القرآن»(٢).

وذكر ابن عاشور معنى الكناية قائلاً: «وهو هنا مجاز في عدم الإيتاء أو كناية عنه؛ لأنَّ الإمساك يلازمه الإعراض»(٣).

واقتصر الزمخشري والثعلبي والقزويني على ذكر معنى الاستكبار فقط(٤).

❑ الكناية لغرض الاستيلاء والتدبير:

نحو قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، قال رشيد

---

(١) المصدر نفسه: ٧/٧٤.

(٢) أولى ما قيل: ٥/١٩١.

(٣) التحرير والتنوير: ١٤/٦٤.

(٤) ينظر: الكشاف: ٢/٦٤٤، والكشف والبيان: ٦/٦٢٩، والإيضاح، ص٨٩.

الخطيب: «وفي هذا كناية عن الاستيلاء والتدبير لهذا الكون والسيطرة عليه، على عادة المخاطبين ونظامهم في أحوال سلطانهم. لأنَّه سبحانه يخاطب الناس في تعريف ذاته بما اعتادوا أن يعرفوه في ملوكهم وعظمائهم...»[1].

وذهب الزركشي: «أنَّه كناية عن الملك؛ لأنَّ الاستواء على السرير لا يحصل إلا مع الملك فجعلوه كناية عنه»[2] وتبعه السيوطي في ذلك[3].

❑ الكناية عن منتهى السخاء:

نحو قوله تعالى: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، قال رشيد: «كناية عن منتهى السخاء مأخوذ من حال المخاطبين... لأنَّ السخي يعطي بيده لكثرة السائلين»[4].

وذكر الزركشي أنَّه «كناية عن سعة جوده وكرمه»[5]، وقال السيوطي ذلك[6].

وقد تفرد رشيد بذكر الكناية في مجموعة من الآيات القرآنية، وهذا إن دل على شيء فهو للدلالة على مقدرته البلاغية واستقلال شخصيته العلمية، وهذه الآيات هي:

---

(١) أولى ما قيل: ٥٦/٦.

(٢) البرهان: ٥٠٦.

(٣) ينظر: الإتقان: ١٢٤/٤.

(٤) أولى ما قيل: ٤٦/٣.

(٥) البرهان، ص٥٠٥.

(٦) ينظر: الإتقان: ١٢٣/٣.

❑ **الكناية عن العذاب:**

نحو قوله تعالى: ﴿**وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ**﴾ [آل عمران: من الآية ١٤٠]، قال رشيد الخطيب: «فيعبر عن مصيرهم الأليم بعدم المحبة لهم، إيماء لمحبة الله تعالى للمؤمنين وكناية عمّا لهم من العذاب في مقابلة نعيم المؤمنين ومحبتهم»[١].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿**وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ**﴾ [النحل: من الآية ٣٧]، قال رشيد الخطيب: «وهذه الجملة كناية عن العذاب الذي لا نجاة لهم منه»[٢].

❑ **الكناية عن مواصلة السير:**

نحو قوله تعالى: ﴿**وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ**﴾ [الحجر: من الآية ٦٥]، قال رشيد الخطيب: «كناية عن مواصلة السير السريع، وتهويل للعذاب الواقع أي: أسرعوا»[٣].

❑ **الكناية عن الجزاء:**

نحو قوله تعالى: ﴿**فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا**﴾ [الإسراء: من الآية ١٩]، قال رشيد الخطيب: «وهذا كناية عن أنَّه تعالى يجازيهم عليه الجزاء الأوفى، فينالون ثمرة أعمالهم موفورة»[٤].

---

(١) أولى ما قيل، ص١٦٨ من المقدمة.

(٢) المصدر نفسه: ١٣١/٥.

(٣) أولى ما قيل: ١١٣/٥.

(٤) المصدر نفسه : ١٦٦/٥.

◻ الكناية عن الخير والسعادة:

ومنه قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ [الإسراء: من الآية ٧١]، قال رشيد الخطيب: «وأخذه باليمن كناية عن أنَّه حاوٍ لأعمال الخير ومستوجب للسعادة والهناء»[(١)].

◻ الكناية عن قبح الحال:

نحو قوله تعالى: ﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ [عبس: ١٧]، قال رشيد الخطيب: «وهذا دعاء على الإنسان بأشد عبارات النقد والتنديد، على ما هو معروف باللسان العربي. وهو كناية عن قبح حاله، وأنَّه قد بلغ منه مبلغاً لا يستحق معه أن يبقى حياً، ومنشأ الشناعة ومناطها نسيانه لما يتقلب فيه من النعم، وذهوله عن مسديها. فإذا ذُكِّر به أعرض عن الذكرى. فما أشد كفره بإحسان من غمره بنعمه من مبدأ إيجاده إلى ساعة معاده»[(٢)].

◻ الكناية عن الأناة والحلم والثبات:

نحو قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ [طه: ٢٥]، قال رشيد: «وشرح الصدر كناية عن الأناة والحلم والثبات تجاه ما سيلقاه من الأمور المزعجة»[(٣)].

◻ الكناية عن عدم صدور اللغو:

نحو قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ [مريم: من الآية ٦٢]، قال رشيد

---

(١) المصدر السابق: ١٨٦/٥.

(٢) المصدر السابق: ١٥٥/٩، وينظر: ١٧٩/٩.

(٣) أولى ما قيل: ٦٠/٦.

الخطيب: «أي: فضول الكلام. وهذه الكناية عن عدم صدور اللغو عن أهلها»[1].

❑ الكناية عن الإرادة:

نحو قوله تعالى: ﴿ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ﴾ [هود: من الآية ٨٣]، قال رشيد الخطيب: «أي: معلمة بعلامة خاصة عند ربك، وهذه كناية عن أنَّ كل حجر منها لا يصيب إلا من أراد الله أن تصيبه والله أعلم. والمراد المبالغة في تمكين الإجراء وتحقيق الجزاء»[2].

❑ الكناية عن اللين والشفقة:

ومنه قوله تعالى: ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٥]، قال رشيد الخطيب: «وخفض الجناح كناية عن الشفقة واللين والتواضع لهم، مستعار من حال الطائر، فإنَّه إذا أراد أن يحط خفض جناحه»[3].

❑ الكناية عن الهجوم:

نحو قوله تعالى: ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا﴾ [العاديات: ٥]، قال رشيد الخطيب: «أي: أدخلنا الغبار وسط جمع العدو، وهو كناية عن هجومهن عليهم، واختلاطهن بهم عند غلبتهم»[4].

---

(١) المصدر نفسه: ٦/٤٨.

(٢) المصدر نفسه: ٤/٢٥٢.

(٣) المصدر نفسه: ٦/٢٤٣.

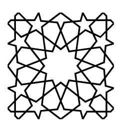
(٤) أولى ما قيل: ٩/٢٣٨.

- **الكناية عن التيئيس:**

نحو قوله تعالى: ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: من الآية ٨٦]، قال رشيد الخطيب: «وقوله: «ولا هم ينصرون» كناية عن التيئيس من النجاة»[١].

- **الكناية عن سعة العلم:**

ومنه قوله تعالى: ﴿لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [مريم: من الآية ٦٤]، قال رشيد: «وهذه الجملة كناية عن سعة علم الله وسلطانه، وتلميح إلى ما يصحب ذلك من دقة عدله في جزائه وإكرامه للمحسنين، وتنزيل كل واحد منزلته لعلمه بما يستحقه ويقتضيه»[٢].



(١) المصدر نفسه ، (رسالة) مخطوط الجزء الأول، ص١٥٧.

(٢) المصدر نفسه: ٦/٤٨.

المبحث الرابع

الصورة

أشار رشيد في تفسيره إلى ظاهرة جديرة بأن تُذكر في هذا المقام، وهي أنَّه اهتم بذكر ما يسميه (الصورة)، و(التصوير)، و(اللوحة)، فقد أشار في مقدمة تفسيره إلى التصوير في القرآن وفائدته وجماله قائلاً: «ومن سُنن القرآن تصوير المعنى وتثبيته بصورة الحكاية والمحاورة، أو بصورة التمثيل، أما في ذلك من قوة من قوة البيان، والتأثير في النفوس. كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: من الآية ٣٠] الآيات. فإنها -والله أعلم- حكاية لما دار في خلد الملائكة من كون هذا المخلوق مستعداً للإفساد، لأنَّه مختار التصرف تابع لإرادته. فأعلمهم سبحانه أنَّ الحكمة التي اقتضت ذلك ليكون وافر العلم صالحاً للاستفادة من مواهب الأرض وتعميرها»[1]. وتأثره بصاحب التصوير الفني في القرآن واضح؛ إذ يقول في تعريف التمثيل والتصوير: «فالتمثيل والتصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن. فهو يعبر بالصور المحسوسة أو المتخيلة عن المعاني الذهنية والحالات النفسية والأحوال الغيبية والطبائع البشرية»[2].

وفرق رشيد بين (التصوير) و(التمثيل)، فالتصوير عام، وهو رسم صورة ما، أما التمثيل فخاص بما لم يحدث، وإنما يشخص فيه المعنى أو يجسد، فذكر في قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ﴾ [هود: ٥]، «وهذا

---

(١) أولى ما قيل، ص٤٦ من المقدمة.

(٢) وينظر: المصدر نفسه، المقدمة : ص٤٦ ، وينظر: نظرية التصوير الفني، ص٢٩.

تصوير لما كان يحاوله بعض الكفار والمنافقين عند سماع القرآن من الاستخفاء منه والإعراض عنه وثني الصدر... أو مجرد تمثيل لحالهم»(١).

ويستمر رشيد الخطيب بذكر سنن القرآن في التصوير قائلاً: «ومن سنن القرآن تصوير الأمر المحقق بالظاهر المرئي، فيستعير له الرؤية؛ لأنَّها أقوى سند الإخبار فيقول: ألم تر كيف كذا؟»(٢).

غير إنَّ رشيد الخطيب يحمل أحياناً بعض النصوص على معنى التصوير فقط، مثل قوله تعالى: ﴿إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ۝٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ [الملك: ٧]، فقال: «صور هذه النار بصورة مخلوق رهيب عابس مكفهر الوجه يغلي صدره حقداً وغيظاً على فريسته»(٣).

ويحمل بعض الآيات على معنى التمثيل، مثل قوله تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ [الكهف: الآية ٣٢]، قال رشيد: «فهو مجرد تمثيل لحال الكافر والمؤمن»(٤).

وفي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ [إبراهيم: ٢٤]، نجد إن رشيد يذكر لنا تعريف (المثل) وهو نوع من (التمثيل) قائلاً: «إذاً فالمثل تصوير المعاني المعقولة بصورة المحسوسات فيدنيها من الحس ويقربها للفهم، فيلمسها السامع لمساً»(٥).

---

(١) أولى ما قيل: ٢٢٣/٤.

(٢) المصدر نفسه ، ص٤٦ من المقدمة.

(٣) أولى ما قيل: ٦٩/٩.

(٤) المصدر نفسه، ص٤٦ من المقدمة.

(٥) المصدر نفسه: ٩٠/٥.

فضلاً عن أنَّه أشار إلى (اللوحة) وذلك ما ذكره في سورة الفجر إلى أنَّه سبحانه: «عرض بذلك لوحة لشقاء المكذبين من جبابرة أهل الوبر، ثم لجبابرة أهل الحضر. ثم للعريقين في المدينة»[1] وهو يعني بذلك قوم عاد وقوم ثمود وقوم فرعون.

على إنَّه ليس بالوسع القول أنَّ الشيخ قد عرف الصورة الفنية كما ينبغي فطبقها بدقة في تفسيره، بل الذي يمكن قوله أنه حاول محاولة حسنة قصد فيها إلى أن يفيد مما وصل إليه وأدراكه منها، وهو مما استقاه من كتاب (التصوير الفني) ومن تفسير (في ظلال القرآن) أو لَمَحَهُ هو أيضاً في ضوء ما انتهى إليه من تراث تفسيري ضخم، اطلع على كثير منه[2].

❑ ثانياً: التعريض:

وهو **في اللغة**: «عرَّض لفلان وبه: إذا قال فيه قولاً وهو يعيبه، يقال: عرَّض تعريضاً: إذا لم يبيّن، والتعريض خلاف التصريح، والمعاريض: التورية بالشيء عن الشيء»[3].

وفي **الاصطلاح**: استخدم العرب في كلامهم كثيراً من التعريض، فهو من الأساليب العريقة، إذ عدوه من محاسن الكلام، فقد عقد ابن قتيبة باباً خاصاً له مع الكناية سماه (باب الكناية والتعريض) وقال فيه: «ومن هذا الباب التعريض، والعرب تستعمله في كلامها كثيراً فتبلغ إرادتها بوجه هو ألطف وأحسن من الكشف والتصريح، ويعيبون الرجل إذا كان يكاشف في

(١) المصدر نفسه: ١٩٣/٩.

(٢) ينظر: منهج رشيد الخطيب الموصلي في تفسير القرآن الكريم، ص٢٤٤.

(٣) لسان العرب، مادة (عرض)، وينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ٢٧٦/٢.

كل شيء ويقولون: لا يحسن التعريض إلا ثلباً»[1]. وقد ذكره السكاكي وهو يقسم الكناية بقوله: «ثم إنَّ الكناية تتفاوت إلى تعريض، وتلويح، ورمز، وإيماء، وإشارة»[2]، ثم قال: «متى كانت الكناية عرضية كان إطلاق اسم التعريض عليها مناسباً»[3]، وعرفها ابن الأثير قائلاً: «هي اللفظ الدال على الشيء من طريق المفهوم لا بالوضع الحقيقي ولا المجازي»[4].

وقد تناول رشيد الخطيب التعريض في عدد من الآيات كقوله تعالى: ﴿لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ۝١٥ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ﴾ [طه: من الآية ١٥-١٦]، قال رشيد: «ثم ختم الكلام بعبارة تدل بطريقة لتعريض على التوعد لمن يكفر بها»[5].

و لم أجد من المفسرين من ذكر هذا القول.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام: من الآية ١٤]، قال رشيد: «وفي ذلك تعريض بمن اتخذ أولياء من دونه من البشر المحتاجين للطعام، والعاجزين عن الخلق والإيجاد، فكيف يكونون آلهة»[6].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ [الأعراف: من الآية ٦٩]، قال رشيد: «وفي هذا تعريض وتحذير لهم مما وقع

---

(١) تأويل مشكل القرآن، ص٢٠٤.

(٢) مفتاح العلوم، ص١٧٦.

(٣) المصدر نفسه، ص١٧٩.

(٤) المثل السائر: ٣/٥٦.

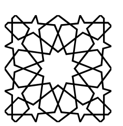
(٥) أولى ما قيل: ٦/٥٩.

(٦) أولى ما قيل: ٣/٨٣.

لقوم نوح من العذاب وإيماء إليه»[1].

ولم أجد من المفسرين من ذهب إلى هذا الرأي.

وقد ذكر رشيد التعريض في مواضع متعددة من تفسيره[2].



(١) المصدر نفسه: ٤/٣٢.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٤/٢٣، ٦/١٥٧، ٦/١٩٤، ٦/٢٤٨.

الفَصْلُ الثَّالِثُ

علم البديع

الفَصْلُ الثَّالِثُ

علم البديع

البديع لغةً: بَدَعَ الشيءَ يَبْدَعه بَدعاً وابتَدَعَهُ: أنشأهُ وَبدأهُ، وأبدعت الشَّيءَ اخترَعَهُ لا على مِثالٍ سابقٍ... والبَدِيعُ من أسماءِ الله تعالى، والبديعُ الجَديد[1].

البديع اصطلاحاً: هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة[2].

وقد أشار العلماءِ إلى أنَّ أول من ذكر مصطلح البديع هو الشاعر مسلم بن الوليد[3] وذكره الجاحظ في قوله: «والبديع مقصور على العرب ومن أجله فاقت لغتهم على كل لغة وأربت على كل لسان»[4].

وقد شاع هذا اللون في الأدب مما حدا بالخليفة والشاعر العباسي ابن معتز إلى تأليف كتابه البديع الذي قال فيه: «البديع اسم موضوع لفنون من الشعر يذكرها الشعراء ونقاد المتأدبين منهم فأما العلماء باللغة والشعر القديم فلا يعرفون هذا الاسم ولا يدرون ما هو وما جمع فنون البديع ولا سبقني إليه أحد وألفته سنة أربع وسبعين ومائتين»[5].

---

(١) لسان العرب، مادة (بدع).

(٢) الإيضاح، ص٣١٧.

(٣) ينظر: الأغاني: ٣١/١٩، العمدة: ١٣١/١.

(٤) البيان والتبيين: ٥١/١.

(٥) البديع، ص٥٨.

والناظر في كتاب البديع يرى أن فنونه تشمل علم البيان وبعض قضايا علم المعاني، وبذلك لم يكن مصطلح البديع يتطابق مع مفهومنا الحالي فقد كان يطلق البديع على البلاغة كلها، وهذا ما ذكره ابن قدامة بن جعفر[1] وعبد القاهر الجرجاني[2] في نظريته المعروفة بـــ(نظرية النظم) التي يكشف فيها عن الإعجاز القرآني بالإفادة من النظرة الشمولية لعلوم البلاغة.

ويُعدُّ القزويني أول من عرف علم البديع -ذكرنا التعريف مسبقاً- والسكاكي أول من قسم فنون البديع؛ إذ سمّاها (محسنات) وجعلها على ضربين:

ضرب يرجع إلى المعنى، وضرب يرجع إلى اللفظ[3] وقد تناول رشيد الخطيب أنواعاً متعددة من هذا العلم في تفسيره منها:

١- المشاكلة:

المشاكلة لغةً: الشبه والمثل، وقد تشاكل الشيئان وشاكل كل واحد منهما صاحبه[4].

وقال ابن فارس عليها: «الشين والكاف واللام معظم بابه المماثلة. تقول: هذا شِكْلُ هذا، أي: مثله. ومن ذلك يقال: أمر مُشكل، كما يقال أمر مشْتَبِهٌ، أي: هذا شابه هذا، وهذا دخل في شكل هذا»[5].

---

(١) ينظر: نقد الشعر، ص٢٤.

(٢) ينظر: دلائل الإعجاز، ٤٠-٤٥، وأسرار البلاغة: ١-٤.

(٣) الإيضاح، ص٣١٧، وينظر: مفتاح العلوم، ص٢٠٠.

(٤) لسان العرب، مادة (شكل).

(٥) معجم مقاييس اللغة، مادة (شكل): ٣/٢٠٤.

المشاكلة اصطلاحاً: هي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقاً أو تقديراً[1]. وسماه الرماني بالمزاوجة[2]. ويبدو أن الدكتور أحمد مطلوب أرجع بدايات نشوء مصطلح المشاكلة إلى أبي علي الفارسي بقوله: «ولعل أبا علي الفارسي كان أول من أطلق عليه اسم المشاكلة»[3].

ومن المحدثين من يرى أنَّ المشاكلة كلمة تتردد في العبارة مرتين، مع إمكان استبدالها بغيرها في المرة الثانية، ولكن بقيت ليكتمل الإيقاع الموسيقي الناتج عن الترديد، فضلاً عن أن معناها مازال قادراً على العطاء في العبارة التي وردت فيها[4].

ولقد عني الشيخ رشيد الخطيب بها عناية واضحة لما فيها من دفع شبهة قد ترد في نسبة الألفاظ التي لا تليق بذات الله كالنسيان، والمكر، والخديعة، وما إليها فهو لون بديعي، وهو كذلك لدى الشيخ، إذ عدَّ هذا اللون من الكلام من فنون البديع وقد نص على ذلك في بعض المواضع فقال: (هذا من البديع)[5].

ومن الآيات القرآنية التي ذكر رشيد الخطيب أنَّ فيها مشاكلة مما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ﴾ [الحج: من الآية ٦٠]، قال رشيد: «وإنَّما سمي التحرش من الكفار

---

(١) مفتاح العلوم، ص٤٢٤، والتلخيص، ص٣٥٦.

(٢) ينظر: النكت في إعجاز القرآن، ص٩٩.

(٣) معجم المصطلحات البلاغية: ٢٨٥/٣، وينظر: الحجة: ٢٣٦/١.

(٤) ينظر: البلاغة (تأصيل وتجديد)، ص١٠١.

(٥) أولى ما قيل: ٩٣/٤ و١٩١/٤.

في بالمؤمنين عقاباً أيضاً، للازدواج والمشاكلة»[1].

ونرى هنا أنَّ رشيد الخطيب أطلق اسم الازدواج أيضاً على المشاكلة.

وهذا ما ذكره البيضاوي قائلاً: «ولم يزد في الاقتصاص وإنما سمي الابتداء بالعقاب الذي هو للازدواج أو لأنه سببه»[2]، فهو لم يصرح بلفظ المشاكلة بل الازدواج.

وسماه الزمخشري الملابسة قائلاً: ««ذلك ومن عاقب» تسميته الابتداء بالجزاء لملابسته له من حيث إنَّه سبب وذلك مسبب عنه كما يحملون النظير على النظير، والنقيض على النقيض للملابسة»[3]. وتبعه النسفي والنحاس[4].

وأطلق الشوكاني والآلوسي لفظ المشاكلة[5].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ﴾ [يونس: من الآية ٢١]، قال رشيد: «أي: أعجلُ عقوبة وأسرع عقاباً من سرعتكم في انقلابكم عن الحق. وفي تسمية العقوبة مكراً، مشاكلة لمكرهم وهذا من البديع»[6].

وهذا مما ذهب إليه الشوكاني بقوله: «... وتسمية عقوبة الله سبحانه مكراً من باب المشاكلة»[7].

---

(١) المصدر نفسه: ٦/١٣٩-١٤٠.

(٢) أنوار التنزيل: ٤/١٣٧.

(٣) الكشاف: ٣/١٦٨.

(٤) ينظر: مدارك التنزيل: ٣/١١٠، ومعاني القرآن: ٤/٤٢٩.

(٥) ينظر: فتح القدير: ٣/٦٦٥، وروح المعاني: ١٧/١٨٩.

(٦) أولى ما قيل: ٤/١٩١٠، وينظر: إرشاد العقل السليم: ٤/١٣٣.

(٧) فتح القدير: ٢/٦٢٨.

وذكر الرازي أنَّه من المقابلة[1].

وقوله تعالى: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ﴾ [التوبة: من الآية ٦٧]، قال رشيد: «أي: حرمهم من فوائد ذكره وشكره وحسن عبادته. فيه مشاكلة في اللفظ»[2].

وقال الزركشي: «وهو مجاز حسن، فالعرب تسمي الجزاء على الفعل باسم الفعل»[3].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ خَرۡجٗا فَخَرَاجُ رَبِّكَ﴾ [المؤمنون: من الآية ٧٢]، قال رشيد في تفسير الآية: ﴿...أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ خَرۡجٗا﴾ أي: ضريبة على الرؤوس فيتهموك بأن تطلب بهذه الدعوى والدعوة نيل ثروة أو رياسة، كلا. وإنَّما تطلب الأجر من ربك ﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيۡرٞۖ﴾ وهو رزقه لك في الدنيا، وثوابه في الآخرة. وعبر عن هذا بالخراج، للمشاكلة»[4].

و لم أجد من المفسرين من قال بهذا الرأي.

وقد أكثر رشيد من ذكر هذا النوع في تفسيره[5].

٢- اللف والنشر:

جاء في اللسان: «الَّلف: الصّنفُ من النَّاس من خير أو شر، والتفَّ

---

(١) التفسير الكبير: ١٧/٥٤.

(٢) أولى ما قيل: ٤/١٥١.

(٣) البرهان، ص٨٦٢.

(٤) أولى ما قيل: ٦/١٦٠.

(٥) ينظر: المصدر نفسه: ١/١١٦، و٤/٩٣، و٤/٢٣٨، و٥/١٥٧، و٧/٨٢.

الشيء تجمّع وتكاثف، والنشرُ، أنشر الله الرِّيح: أحياها بعد موت وأرسلها نشراً ونشراً»[1].

وفي الاصطلاح: فقد عرفه السكاكي قائلاً: «هو أن تلف بين شيئين في الذكر ثم تتبعهما كلاماً مستقلاً على متعلق بواحد وبآخر من غير تعيين، ثقة بأنَّ السامع يرد كلاً منهما إلى ما هو له»[2]. وقولهم من غير تعيين أي: من غير أن يعين لشيء مما ذكر أولاً ما هو له مما ذكر ثانياً، وهذا قيد في التعريف يخرج ما كان معيناً، فهو من باب التقسيم، وليس من هذا الباب. وترك التعيين يكون من أجل الوثوق بأنَّ السامع يرد إلى كل ما هو له بناءً على القرينة[3]. وقد عرَّفه كثير من البلاغيين منهم الحموي بقوله: «وهو أن نذكر شيئين فصاعداً إما تفصيلاً فتنص على كل واحد منهما، وإما إجمالاً فتأتي بلفظ واحد يشتمل على متعدد إلى العقل ردَّ كل واحد إلى ما يليق به»[4].

وقسمه القزويني على نوعين: الأول: أن يكون النشر على ترتيب اللف، والثاني: أن يكون النشر على غير ترتيب اللف[5].

وذكر الشيخ هذا اللون البديعي في قوله تعالى: ﴿ **وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ** ﴾ [الأعراف: ١٨١]، قال رشيد: «وكلتاهما تفصيل لإجمال قوله تعالى: ﴿ **مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ**

---

(١) لسان العرب: مادة (لف) و(نشر).

(٢) مفتاح العلوم، ص٦٦٢.

(٣) خزانة الأدب: ١/١٤٩.

(٤) دراسات منهجية في علم البديع، للشحات محمد أبو شيبة، ص٢٢٣.

(٥) التلخيص، ص٣٦١، والإيضاح، ٣٣٣.

﴿ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٨]، وقد جاء هذا التفصيل على طريقة اللف والنشر المفرّق، ليكون مطلع الكلام ومقطعه من المهتدين[1].

لم أجد من المفسرين من ذهب إلى هذا الرأي.

وقد يلمح الشيخ لفاً من دون تفريق فيجد فيه صورة من صور الإيجاز القرآني، على نحو مما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ﴾ [الروم: ٢٣]، قال رشيد: «وفيه لف واحتباك على نهج إيجاز القرآن»[2].

٣- المقابلة:

المقابلة لغةً: جاء في اللسان: قابل الشيء مقابلة وقبالاً: عارضه، والمقابلة المواجهة والتقابل مثله[3].

وفي الاصطلاح: فقد اختلف البلاغيون في المقابلة فمنهم من أدخلها في باب المطابقة[4]، ومنهم من عدَّها باباً بذاتها[5]، وعرفها الكثير من البلاغيين[6]، إذ قال فيها أبي الأصبع المصري أنَّها عبارة عن: «توخي المتكلم

(١) أولى ما قيل: ٤/٧٠.

(٢) المصدر نفسه: ٧/٥٥، وينظر: منهج رشيد الخطيب الموصلي في تفسر القرآن الكريم، ص٢٥٠.

(٣) ينظر: لسان العرب، مادة (قبل).

(٤) ينظر: مختصر المعاني، ص٢٦٧.

(٥) ينظر: نهاية الإيجاز، ص١١١، ومفتاح العلوم، ص٢٠٠.

(٦) ينظر: كتاب الصناعتين، ص٣٣٧، وجوهر الكنز، ص٨٥، والإيضاح، ص٣٥٣، وخزانة الأدب: ١/١٢٩.

ترتيب الكلام على ما ينبغي، فإذا أتى بأشياء في صدر كلامه أتى بأضدادها في عجزه على الترتيب بحيث يقابل الأول بالأول والثاني بالثاني لا يخل من ذلك شيء في المخالف والموافق، ومتى أخل الترتيب كان الكلام فاسد وقد تكون المقابلة بغير الأضداد»[(١)].

وعرَّفها أبو هلال العسكري بقوله: «إيراد الكلام في مقابلته بمثله في المعنى واللفظ على جهة الموافقة والمخالفة»[(٢)]. وجميع التعريفات تكاد تكون متفقة في المعنى العام.

وقد أشار رشيد الخطيب إلى المقابلة في عدد من الآيات، ولم يفرق بين الطباق والمقابلة، على حين فرَّق أكثر البلاغيين، فقد عرف السكاكي الطباق بأن تجمع بين متضادين، أما المقابلة فهي بين شيئين متوافقين أو أكثر وبين ضربهما[(٣)].

واختيار الشيخ لمصطلح (المقابلة) مبني على واقع الدلالة، إذ إنَّ أحد اللفظين يقابل الآخر في معناه. أما الطباق فمصطلح تعارف عليه البلاغيون[(٤)].

فقال في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: ٢١/٢٣]: «ولا يخفى ما في مقابلة عالية بدانية من الإبداع البليغ»[(٥)].

---

(١) تحرير التحبير، ص١٧٩.

(٢) كتاب الصناعتين، ص٣٣٧.

(٣) مفتاح العلوم، ص٦٦٠، وينظر: منهج الخطيب الموصلي في تفسير القرآن الكريم، ص٢٤٥.

(٤) منهج رشيد الخطيب الموصلي في تفسير القرآن الكريم، ص٢٤٥.

(٥) البرهان، ص٩٠٧.

وهذا في اصطلاح عموم البلاغيين طباق، قال الزركشي: قابل بين العلو والدنو»[1].

ومن المقابلة ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ﴾ [التوبة: ٨٦]، قال رشيد الخطيب: «ثم ذكر حال المؤمنين ومصيرهم في مقابلة حال المنافقين ومصيرهم على نهج القرآن في المقابلة فقال: ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ﴾ [التوبة: من الآية ٨٨]، التي هي ثمرات الإيمان...»[2]. فهذا من مقابلة جملة بجملة.

و لم أجد من المفسرين من ذهب إلى هذا الرأي.

وقد يقابل الشيخ بين جمل متعددة لتشمل مشهداً متكاملاً بإزاء مشهد آخر، وهذا من خصائص القرآن، إذ يقابل مثلاً مشاهد بمشاهد النعيم في كثير من نصوصه، جرياً على نهجه وأسلوبه في الترغيب والترهيب، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا﴾ [الكهف: من الآية ٢٩] وقوله تعالى بعد ذلك: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا خُضۡرٗا مِّن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۚ نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ

(١) أولى ما قيل: ٨٧/٩.

(٢) أولى ما قيل: ١٥٩/٤-١٦٠، وينظر: ٦٩/٤-٧٠.

وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقًا﴾ [الكهف: ٣٠-٣١]، قال رشيد: «وهذه الجمل مقابلة لنظيرها السابق في حق الكافرين[١]. وهذا ما ذهب إليه الرازي[٢].

وقد أكثر رشيد الخطيب من ذكر المقابلة في تفسيره[٣].

٤- الالتفات:

لغةً: لَفَتَ وَجْهَهُ عَن القَومِ: صَرَفَهُ، والتَفَتَ التفاتاً... والتَفَتَ إليه صَرفَ وجههُ إليه، ويقال: لَفَتَ فُلاناً عن رأيه، أي: صَرَفْتَه، ومنه الالتفات[٤].

وفي الاصطلاح: عرَّف البلاغيون الالتفات واختلفوا في تسميته[٥]، فمنهم من سماه الاعتراض والرجوع والصرف والانصراف والالتفات، وكذلك أطلقوا عليه شجاعة العربية.

ولعل أول من أطلق عليه تسمية الالتفات هو الأصمعي[٦]، وقد أوضحه ابن الأثير بقوله: «وحقيقته مأخوذة من التفات الإنسان عن يمينه وشماله فهو يقبل بوجهه تارة كذا، وتارة كذا، وكذلك يكون هذا النوع من الكلام؛ لأنَّه ينتقل فيه من صيغة إلى صيغة كالانتقال من خطاب حاضر إلى غائب أو من خطاب غائب إلى حاضر، أو من فعل ماضٍ إلى مستقبل أو من مستقبل

---

(١) المصدر نفسه: ٦/١٧-١٨.

(٢) ينظر: التفسير الكبير: ٢١/١٠٤.

(٣) ينظر: أولى ما قيل: ١/٢٧، ١/٢٠٣، ٣/٢٠، ٤/٢٠، ٤/٦٩-٧٠.

(٤) ينظر: لسان العرب، مادة (لفت).

(٥) ينظر: البديع، ص٥٨، والصناعتين، ص٣٩٢، والعمدة: ٢/٤٦، والمثل السائر: ٢/٤، وتحرير التحبير: ١٢٣، وجوهر الكنز، ص١١٩، وخزانة الأدب: ١/١٣٤.

(٦) ينظر: حلية المحاضرة: ١/١٥٧، والصناعتين، ص٣٩٢، والعمدة: ٢/٤٦، وينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ١/٣٩٥.

إلى ماضٍ»[1]، وهو عنده ثلاثة أقسام:

➢**الأول**: الرجوع من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة.

➢**الثاني**: الرجوع عن الفعل المستقبل الى فعل الأمر وعن الفعل الماضي الى فعل الأمر.

➢**الثالث**: الإخبار عن الفعل الماضي بالمستقبل وعن المستقبل بالماضي.

ووضع السكاكي الالتفات ضمن علم المعاني، فقال فيه: «واعلم أن هذا النوع، أعني نقل الكلام عن الحكاية إلى الغيبة، لا يختص المسند إليه، ولا هذا القدر بل الحكاية والخطاب والغيبة ثلاثتها ينقل كل واحد منهما على الآخر، ويسمى هذا النقل التفاتاً عند علماء المعاني، والعرب يستكثرون منه، ويرون الكلام إذا انتقل من أسلوب على أسلوب، أدخل في القبول عند السامع وأحسن تطرية لنشاطه، وأملاً باستدرار إصغائه، وهم أحرياء بذلك»[2].

والشيخ رشيد الخطيب قد اهتم بهذا الأسلوب في تفسيره، وكان حريصاً على ذكر الأغراض البلاغية التي يخرج إليها هذا الأسلوب. وقد أورد الشيخ أربعة أنواع من الالتفات في القرآن الكريم في تفسيره أولى ما قيل، وهذا خلافٌ لما ذكره الباحث خالد محمد حماش من أن الشيخ أورد ثلاثة أنواع للالتفات[3].

أ – الالتفات من التكلم إلى الغيبة:

ومثاله ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣]، قال رشيد الخطيب: «ثم غير

(١) المثل السائر: ٢/ ٤.

(٢) مفتاح العلوم، ص١٩٩.

(٣) منهج رشيد الخطيب الموصلي في تفسير القرآن الكريم، ص٢٤٨.

الأسلوب من التكلم إلى الغيبة مبالغة في التعظيم»[1].

و لم أجد من المفسرين من قال هذا الرأي.

ب- الالتفات من الغيبة إلى التكلم:

ويأتي هذا النوع لأغراض متعددة ذكرها المفسر، فقد يكون لغرض تربية المهابة نحو قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ [النحل: من الآية ٥١]، قال رشيد: «والالتفات من الغيبة إلى التكلم لتربية المهابة»[2].

وذهب البيضاوي إلى غرض الترهيب في الالتفات قائلاً: «نقل من الغيبة إلى التكلم مبالغة في الترهيب وتصريحاً بالمقصود فكأنَّه قال فأنا ذلك الإله الواحد فإياي فارهبون لا غير»[3]. وهذا رأي الزمخشري والرازي والخازن والنسفي والشوكاني[4].

و لم يذكر ابن جزي غرض الالتفات فقال: ««فإياي فارهبون» خرج من الغيبة إلى التكلم؛ لأن الغائب هو المتكلم»[5].

وقد يكون لغرض إظهار الاعتناء، نحو قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النحل: ١٢٢]، قال رشيد: «ثم التفت

---

(١) أولى ما قيل: ٩٦/٦.

(٢) المصدر نفسه: ١٣٤/٥، وينظر: إرشاد العقل السليم: ١١٩/٥.

(٣) أنوار التنزيل: ٤٠٣/٣.

(٤) ينظر: الكشاف: ٥٧٠/٢، والتفسير الكبير: ٤٠/٢٠، ولباب التأويل: ٩٥/٤، ومدارك التنزيل: ٢٥٩/٢، وفتح القدير: ٢٤٠/٣.

(٥) التسهيل: ٧٤/٢، وينظر: روح المعاني: ١٦٣/١٤، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٢٦٩/٤.

إلى التكلم، إظهاراً لكمال الاعتناء بشأنه»[1].

وقد يكون الالتفات عنده لأكثر من غرض بلاغي، نحو قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا﴾ [فاطر: ٢٧]، قال رشيد: «والالتفات من الغيبة إلى التكلم، لإظهار التحقق، أو لإظهار كمال العناية بالفعل»[2].

وقال السمين الحلبي: «قوله«فأخرجنا» هذا التفات من الغيبة إلى التكلم، وإنما كان ذلك؛ لأن المِنَّة بالإخراج أبلغ من إنزال الماء»[3]. ولم يذكر البيضاوي وأبو حيان غرض الالتفات[4].

ج- الالتفات من الخطاب إلى الغيبة:

ويأتي عنده أيضاً لأغراض بلاغية متعددة منها ما يأتي لغرض المبالغة في الترهيب نحو قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾ [النور: ٦٤]، قال رشيد: «وعدل عن الخطاب إلى الغيبة في قوله: ﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ﴾، للمبالغة في الترهيب»[5].

وذكر الزمخشري الالتفات في الآية لكنه لم يُبين غرضَهُ[6].

---

(١) أولى ما قيل: ١٥٦/٥.

(٢) المصدر نفسه: ١٤٧/٧. وينظر: إرشاد العقل السليم: ١٥٠/٧.

(٣) الدر المصون: ٢٢٦/٩.

(٤) ينظر: أنوار التنزيل: ١٨/٢٦، والبحر المحيط: ٢٩٦/٧.

(٥) أولى ما قيل: ١٩٨/٦-١٩٩.

(٦) ينظر: الكشاف: ٢٢٢/٣.

وقد يكون الالتفات لغرض التعجيب كقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ ﴾ [النحل: ٧٢]، قال رشيد: «... ثم التفت من الخطاب إلى الغيبة لتعجيب السامعين من أمرهم حيث إنَّهم لا يدركون الحق ولا يعتبرون بالحكم، ولا يراعون النعم فقال: «أفبالباطل يؤمنون» وهو الإشراك بالله»[1].

ويأتي الالتفات عنده لغرض الإبعاد والتحقير مع التجهيل، كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [يونس: ٥٠]، قال رشيد: «وقد أقام مقام الجواب هذه الجملة المصدرة بالإنكار التهديدي ملتفتاً من الخطاب إلى الغيبة للإبعاد والتحقير مع التجهيل فقال: «ماذا يستعجل منه المجرمون»[2].

و لم أجد من المفسرين من ذكر هذا الرأي.

وقد يكون لأكثر من غرض كقوله تعالى: ﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [المؤمنون: ٦٧-٦٨]، قال رشيد: «ثم لفت الكلام إلى التوبيخ والإنكار لعدد من مضان التهم مضطربة في مسالك البطلان... وعدل الخطاب إلى الغيبة، مبالغة في ذلك، كأنَّه أبعدهم عن ساحة الخطاب لقلة فهمهم فقال: «أفلا يدبروا القول»[3].

و لم أجد من المفسرين من قال بهذا الرأي.

---

(١) أولى ما قيل: ١٤٠/٥، وينظر: إرشاد العقل السليم: ١٢٨/٥.

(٢) أولى ما قيل: ٢٠١/٤-٢٠٢.

(٣) المصدر السابق : ١٥٩/٦.

د- الالتفات من الغيبة إلى الخطاب:

وقد يكون لغرض التهديد نحو قوله تعالى: ﴿فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ﴾ [التوبة: من الآية ٣]، قال رشيد: «ثم التفت من الغيبة إلى الخطاب لزيادة التهديد...»[١].

و لم أجد من المفسرين من ذكر هذا الرأي.

ويأتي عنده لغرض المبالغة في الترهيب كقوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ [النحل: ٥٦]، قال رشيد: «والالتفات إلى الخطاب للمبالغة في الترهيب»[٢].

و لم يذهب أحد من المفسرين إلى هذا القول.

وقد يذكر له أكثر من غرض كقوله تعالى: ﴿فَسِيحُواْ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة: ٢]، قال رشيد: «... ثم عدل عن الغيبة إلى الخطاب زيادة في التقرير ومبالغة في التهديد فقال: ﴿فَسِيحُواْ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾»[٣].

وذهب الآلوسي إلى أنَّ غرض الالتفات هو الإباحة قائلاً: «... وهو الالتفات من الغيبة إلى الخطاب والمقصود الإباحة والإعلام بحصول الأمان من القتل والقتال...»[٤].

---

(١) أولى ما قيل: ٤/١٢٠.

(٢) المصدر السابق: ٥/١٣٥.

(٣) المصدر السابق: ٤/١١٩.

(٤) روح المعاني: ١٠/٤٣.

وقال ابن عاشور في تفسير الآية: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ﴾ الفاء للتفريع على معنى البراءة، لأنَّها لمّا أمر الله بالأذان بها كانت إعلاماً للمشركين الذين هم المقصود من نقض العهد الذي كان بينهم وبين المسلمين، فضمير الخطاب في فعل الأمر معلوم منه أنَّهم الموجه إليهم الكلام وذلك التفات. فالتقدير: فاليسيحوا في الأرض ونكتة هذا الالتفات إبلاغ الإنذار إليهم مباشرة»[1].

و لم يذكر القرطبي غرض الالتفات[2].

٥- تأكيد المدح بما يشبه الذم:

وهو من الأساليب الخادعة، إذ يوهم صدر الكلام أن عجزه من قبيل الذم فإذا به من قبيل المدح، فحين نقول: لا عيب في محمد إلا أنَّه أمين، فبدلية كلامك توهم أنك لا ترى فيه عيباً ستذكره بعد الاستثناء، فإذا قلت: إنه أمين، زال الوهم، وتبين القصد في مدحك له على نهج بديع من الكلام، وقد وقف بعض علماء البلاغة عنده، وفصَّلوا الحديث فيه وفي أمثلته تحت عنوان الاستثناء[3].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦۚ﴾ [التوبة: من الآية ٧٤]، قال رشيد: «وفي صيغة هذا التعبير: ما يشبه النوع البديعي الذي يسمونه طريقة تعقيب المدح بما يشبه الذم، والغرض منه هنا المبالغة في التشنيع. أي: لم يكن من وجوده ﷺ بينهم إلا أنَّهم نالوا كل خير

(١) التحرير والتنوير: ١٤/١٠.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٩٤/٨، وينظر: زاد المسير: ٣٩٣/٣.

(٣) ينظر: البديع، ص٦٢، وكتاب الصناعتين، ٣٢٤، والعمدة: ٤٨/٢.

وسعادة من الغنى وحسن الحال، فماذا ينقمون عليه...»[1].

وصرح السيوطي بذلك إلا أنَّه لم يذكر الغرض قائلاً: «فإنَّ ظاهر الاستثناء أن ما بعده حق يقتضي الإخراج فلما كان صفة مدح يقتضي الإكرام لا الإخراج كان تأكيداً للمدح بما يشبه الذم»[2]. وهذا ما ذكره الآلوسي وابن عاشور[3].

ولم يصرح الرازي وغيره على لفظ المدح بما يشبه الذم، ولكنه فسر الآية بما يدل على ذلك المعنى قائلاً: «إنَّ قوله: «وما نقموا» إلا أن أعاهم الله ورسوله» تنبيه على إنَّه ليس هناك شيء ينقمون وهذا كقول النابغة:

ولا عَيبَ فِيهم غَيرَ أنَّ سيوفُهم   بهنَّ فُلولٌ من قِراعِ الكتائبِ»[4]

وتبعه في ذلك بعض المفسرين[5].

وكذلك قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ﴾ [الحج: من الآية ٤٠]، قال رشيد: «وهذا البيان أكبر مسوغ للقتال وحافز إليه، نجدة لهم ودفاعاً عن الدين. وهذا الاستثناء من أبلغ الكلام. فقد استثنى من الحكم ما يؤيده ويقرره، ومن الوصف المحسس المفزز

---

(١) أولى ما قيل: ٤/١٥٥.

(٢) الإتقان: ٣/٢٢٥.

(٣) ينظر: روح المعاني: ١٠/١٣٩، والتحرير والتنوير: ١٠/١٥٨.

(٤) التفسير الكبير: ١٦/١٠٩، والبيت في ديوانه، ص٤٤.

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٨/٢٠٧، والبحر المحيط: ٥/٧٤، ولباب التأويل: ٣/١٢٤، والسراج المنير: ١/٥٠٠، وفتح القدير: ٢/٥٥٦، ومعاني القرآن للنحاس: ٣/٢٣٣.

ما يزيده تهييجاً في الشعور. على الطريقة البلاغية المسماة في فن البلاغة: -تعقيب المدح بما يشبه الذم- أو العكس»[1].

ولم يجزم الشوكاني بهذا اللون البديعي في الآية الكريمة قائلاً: «﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ يجوز أن بدلاً من الذين يقاتلون أو في محل نصب على المدح أو محل رفع بإضمار مبتدأ»[2].

٦- التورية:

لغةً: مصدر ورّيت الخبر تورية، إذا سترته وأظهرت غيره[3].

وفي الاصطلاح: فقد اتفق البلاغيون على تعريفها، على الرغم من اختلافهم في تسميتها، فقد سُميت بـــ(الإيهام، والتوجيه، والتخيل، والمغالطة)[4].

أما تعريفها فهو: «أن يذكر المتكلم لفظاً مفرداً له معنيان حقيقيان، أو حقيقة ومجازاً، أحدهما قريب ودلالة اللفظ عليه ظاهرة، والآخر بعيد ودلالة اللفظ عليه خفية، فيريد المتكلم المعنى البعيد ويوري عنه بالمعنى القريب فيتوهم السامع أول وهلة، إنه يريد القريب وليس كذلك، ولأجل ذلك سمي هذا النوع إيهاماً»[5].

وإنَّ التورية من الفنون البديعية المهمة التي عنى بها البلاغيون، وأكَّد ذلك

---

(١) أولى ما قيل: ٦/١٣٤-١٣٥.

(٢) فتح القدير: ٣/٦٥٣. وينظر: الإتقان: ٣/٢٢٥.

(٣) لسان العرب، مادة (ورى).

(٤) ينظر: تحرير التحبير، ص٢٦٨، وجوهر الكنز، ص١١١، ومفتاح العلوم، ص٢٠٢، والإيضاح، ص٣٦٤، وخزانة الأدب: ٢/٣٩.

(٥) خزانة الأدب: ٢/٣٩.

ابن حجة؛ إذ قال: «فإنَّ التورية من أغلى فنون الأدب وأعلاها رتبة، وسحرها ينفث في القلوب ويفتح بها أبواب عطف ومحبة...»[1].

وقد أشار رشيد الخطيب إلى هذا اللون البديعي في تفسيره، موضحاً سر التورية وجمالها في موقعها من الكلام في كل موضع، ومنه مما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ﴾ [يوسف: ٢٤]، قال رشيد الخطيب: «يريد السيد العزيز ويوري بالله سبحانه، ويجمع بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي. على إنَّ المعنى الأول أيضاً لا يصدر إلا عن متق لله حق تقاته. فهو مستلزم للمعنى الثاني، يدل عليه بالدلالة الالتزامية. وهذه التورية لا تفهمها المرأة، وإنَّما هي مضمرة في نفس يوسف عليه السلام ولكنها فهمت منه التقريع والتأنيب لها بأنَّها داست كرامة زوجها وحقوقه وحقوق الإحسان إليه وحقوق الثقة بين الزوجين»[2].

و لم أجد أحداً من المفسرين من قال بهذا الرأي فهو من انفرادات رشيد الخطيب.

وقد يتردد احتمال الشيخ للوجه البلاغي في النص القرآني بين التورية وفن بلاغي آخر ليس من البديع على نحو ما نجد عند قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسۡمَعُونَۘ وَٱلۡمَوۡتَىٰ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ﴾ [الأنعام: ٣٦]، فقد قال رشيد الخطيب: «في قوله تعالى: ﴿وَٱلۡمَوۡتَىٰ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾ استعارة أو تورية بديعة عقد بها المشابهة بين الميت والجمل البارك»[3]. ويريد الشيخ هنا

---

(١) المصدر نفسه: ٢/ ٤٠.

(٢) أولى ما قيل: ٥/١٧-١٨.

(٣) أولى ما قيل: ٣/٨٩.

أنَّ الاستعارة على وجه المجال بتشبيه الكفار بالموتى؛ إذ الكفر ضرب من الموات في الفكر والعقيدة، لانحرافه عن الحق، أو يريد التورية على وجه الخفاء، والتورية هنا عن بلادة التفكير والإحساس لدى الكفار[1].

وذكر أبو السعود معنى الاستعارة[2]، وتبعه ابن عاشور بقوله: «﴿وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾ «الموتى» استعارة لمن لا ينتفعون بعقولهم ومواهبهم في أهم الأشياء»[3].

وذهب الآلوسي إلى معنى التشبيه فقال: «شبههم بالأموات بجامع أنَّهم جميعاً لا يفهمون الصواب ولا يعقلون الحق...»[4].

و لم أجد من المفسرين من قال بمعنى التورية عنده.

٧- حسن التعليل:

هو أن يدعي لوصف علَّة مناسبة له باعتبار لطيف غير حقيقي أي: بأن ينظر نظراً مشتملاً على لطف ودقة ولا تكون علَّة له في الواقع[5].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٣٨]، قال رشيد: «وقد أردف تحقيق البعث بوجه من حسن التعليل يتضمن الزجر لهم

(١) منهج رشيد الخطيب الموصلي في تفسير القرآن الكريم، ص٢٤٩.

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم: ٣/١٣٠.

(٣) التحرير والتنوير: ٦/٨٠.

(٤) روح المعاني: ٢/١٦٣.

(٥) إتمام الدراية لقراء النقاية: ١/١٣٢، وبغية الإيضاح، ص٢٣٧، ومختصر المعاني، ص٢٦٥.

والتبكيت على أحسن الوجوه وأجملها فقال: ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَـٰذِبِينَ﴾ [النحل: ٣٩] (١).

و لم أجد من المفسرين من قال بهذا الرأي.

٨- أسلوب الحكيم:

«هو كل كلام محكم»(٢).

وقد عرفه الجرجاني بقوله: «عبارة عن ذكر الأهم تعريضاً بالمتكلم على تركه الأهم، كما قال الخضر حين سلم عليه موسى عليه السلام إنكاراً لسلامه، لأنَّ السلام لم يكن معهوداً في تلك الأرض: فأنَّى بأرضك السلام؟ وقال موسى عليه السلام في جوابه: أنا موسى، كأنَّه قال: أجبت عن اللائق بك، وهو أن تستفهم عني لإسلامي بأرضك»(٣).

وعُرف أيضاً: «بأنَّه تلقي المخاطب بغير ما يترقب، بحمل كلامه إلى خلاف مراده تنبيهاً على إنَّه الأولى بالقصد، أو السائل بغير ما يتطلب بتتريل سؤاله مترلة غيره تنبيهاً على إنَّه الأولى بحاله، أو المهم له»(٤).

وقد تناول رشيد هذا اللون البديعي في تفسيره في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ [التوبة: من الآية ٦١]، قال رشيد: «أي: غرير سريع الانخداع، وذلك من أكبر عيوب الرؤساء لما يترتب عليه

---

(١) أولى ما قيل: ٥/١٣٠.

(٢) كتاب الكليات: ١/١٥٣.

(٣) التعريفات، ص٢١.

(٤) خصائص التراكيب ، ص٢٣٦، وبلاغة التراكيب في علم المعاني، ٢٩٩.

من قبول الغش. والظاهر أنَّهم قالوا ذلك تبجحاً بنجاحهم في الاستئذان، حيث أذن لهم بمعاذيرهم الكاذبة. وقد ردَّ الله سبحانه عليهم بالطريقة التي يسميها البلغاء أسلوب الحكيم أو القول بالموجب فقال: ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ [التوبة: من الآية ٦١]»(١).

ولم أجد من المفسرين من ذهب إلى هذا الرأي.

٩- الإبهام:

لغةً: جاء في اللسان: «الإبهام بالباء الموحدة وهو الكلام الموهم؛ لأنَّ له أكثر من وجه، وإبهام الأمر أن يشتبه فلا يعرف وجهه وقد أبهمه، واستبهم عليهم الأمر: لم يدروا كيف يأتون له، واستبهم عليه الأمر أي: استغلق»(٢).

وهو عند البلاغيين: «إيراد الكلام محتملاً لوجهين مختلفين»(٣)، وسماه السكاكي التوجيه، وسماه السيوطي كذلك(٤).

ومن أمثلته ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤]، قال رشيد الخطيب: «وهذا الإبهام الصوري التهكمي، بعد أن بين من هو على الهدى ومن هو على الضلال أبلغ من التصريح»(٥).

ولم أجد من المفسرين من ذكر هذا الرأي.

---

(١) أولى ما قيل: ٤/١٤٩.

(٢) اللسان، مادة (بهم)، وينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ١/٣٧.

(٣) مفتاح العلوم، ص٢٠٢، وينظر: معجم المصطلحات البلاغية: ١/٣٧.

(٤) معجم المصطلحات البلاغية: ١/٣٧.

(٥) أولى ما قيل: ٧/١٢٩.

١٠- الفاصلة القرآنية:

الفصل لغةً: الفصل من الجسد موضع المفصل، وبين كل فصلين وصلٌ ومثال ذلك: الحاجز بين الشيئين.

والفاصلة: الخرزة التي تفصل بين الخرزتين في النظام، وقد فصل النّظم، وعقد مفصَّل، أي: جعل بين كل لؤلؤتين خرزة. وقوله تعالى: ﴿بِكِتَٰبٍ فَصَّلۡنَٰهُ﴾ بيَّنَّاهُ، وقوله: ﴿ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ﴾ بين كل آيتين فصل، تمضي هذه وتأتي هذه، بين كل آيين مهلة، وقيل مفصّلات: مبينات، وسمي (المُفصَّلُ) لقصر أعداد سوره من الآيات[١].

الفاصلة اصطلاحاً: ويشيع إطلاقها عند أرباب الدراسات القرآنية على آخر كلمة تختتم بها الآية، -مع فارق التنظير- كقافية الشعر وقرينة السجع[٢].

على إنَّ الإجماع منعقد على عدم تسمية الفاصلة قافية كما حكاهُ السيوطي؛ إذ قال: «ولا يجوز تسميتها قوافي إجماعاً؛ لأنَّ الله تعالى لمّا سلب عنه اسم الشعر وجب سلب القافية عنه أيضاً؛ لأنَّها منهُ وخاصة في الاصطلاح، وكما يمتنع استعمال القافية يمتنع استعمال الفاصلة في الشعر، لأنَّها صفة لكتاب الله فلا تتعداهُ»[٣]. وأما تسمية الفواصل القرآنية أسجاعاً وإطلاق لفظ السجع عليها فإنَّ جمهور العلماء قد منعه، وهو المتعين، وذلك

---

(١) ينظر: لسان العرب، وأساس البلاغة والقاموس المحيط، مادة (فصل).

(٢) ينظر: النكت في ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص٨٩، وإعجاز القرآن للباقلاني، ص٨٣، والبرهان، ص٥٠، والإتقان: ٣/٢٩٠، ومن بلاغة القرآن، ص٧١.

(٣) معترك الأقران: ١/٢٥.

لأنَّ أصل إطلاق السجع في اللغة كان على صوت الحمام إذا سجع أي: هدل على جهة واحدة[1].

فتنزّه القرآن الكريم عن أنْ يستعار لشيء منهُ لفظ هو صوت الطائر، قال الرماني: «الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني، والفواصل بلاغة، والأسجاع عيب، وذلك أنَّ الفواصل تابعة للمعاني، وأما الأسجاع فالمعاني تابعة لها»[2]. ثم إنَّ من السجع ما يطلق على مذموم الكلام كسجع الكهان، وأصل المنع في ذلك راجع إلى أنَّ القرآن الكريم هو كلام الله تعالى، وكلامه صفة من صفاته، فلا يجوز وصفه بصفة لم يرد الإذن الشرعي بها؛ لأنَّ ألفاظ أسماء الله تعالى وصفاته وما يتعلق بها توقيفي وليس للاجتهاد البشري فيها مكنة ولا مجال[3].

ومصطلح الفاصلة معروف في العربية، فقد عرفه أعلام العربية كالخليل ابن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ) فأطلقه هو وتلميذه سيبويه (ت١٨٠هـ) على مقاطع القرآن، ثم استقرت دلالته على أواخر الآيات في طبقة الجاحظ (ت٢٥٥هـ) إلى أنْ استوى هذا المصطلح على يد أبي الحسن الأشعري (ت٣٢٤هـ) وتلميذه أبي بكر الباقلاني (ت٤٠٣هـ)[4]. وأصبح الناظر في إعجاز القرآن الكريم والواقف على مظاهر بلاغته يتناول هذا المصطلح ويبرز لطائف البلاغة فيه، وذلك في أغلب البحوث التي تطرَّقت إلى بيان

(١) ينظر: لسان العرب، مادة (سجع).

(٢) النكت في إعجاز القرآن، ص٩٧.

(٣) ينظر: ثلاث رسائل، ص٩٠، ومعترك الأقران: ١/٢٥.

(٤) ينظر: الفاصلة في القرآن الكريم، الحسناوي، ص٣٣-٨٧.

القرآن الكريم[1].

والمتأمل في كتاب الله تعالى يلحظ أطّراد الفاصلة فيه، حتى أصبحت جزءاً من أطّراد النظام في القرآن كله. فغدت من مظاهر الأحكام في القرآن وهي ركن وطيد من أركان الآية لفظاً ومعنى، يقدر ما هي ركن في المقطع والسورة ومجموع القرآن، وهي من أمارات تيسير الله تعالى كتابه للذكر والحفظ والدرس[2].

وفواصل الآي الكريم تتعلق بمضمون الآية وتتناسب مع سياق نظمها، وهذا من إعجاز الذكر الحكيم؛ يقول الزركشي: «اعلم أنَّ من المواضع التي يتأكد فيها إيقاع المناسبة مقاطع الكلام وأواخره، وإيقاع الشيء فيها بما يشاكله... وفواصل القرآن العظيم لا تخرج عن ذلك؛ ولكن منه ما يظهر، ومنه ما يستخرج بالتأمل للّبيب»[3].

وللفاصلة قيمة في تمكين معنى الآية، مستقرة في قرارها ومطمئنة في موضعها، غير نافرة ولا قلقة ومتعلقاً معناها بالكلام كلّه تعلقاً تاماً؛ إذ لو طرحت اختل المعنى واضطرب الفهم وهذا فيه سرٌّ عظيم[4]. ويشهد لذلك ما حكي عن الأصمعي أنه قال: «كنت أقرأ: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾» قرأتُ: والله غفور رحيم [المائدة: ٣٨] وبجنبي أعرابي؛ فقال: كلام من هذا؟ فقلت كلام الله. قال:

(١) ينظر: على سبيل التمثيل: الإتقان، إعجاز القرآن للرافعي، والتصوير الفني، ومشاهد القيامة، والإعجاز البياني...

(٢) ينظر: الفاصلة في القرآن، ص١٩٢-١٩٣.

(٣) البرهان، ص٦٥.

(٤) ينظر: المصدر نفسه.

أعد؛ فأعدت، فقال: ليس هذا كلام الله؛ فانتبهت، فقرأت: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ فقال: أصبت، هذا كلام الله؛ فقلت: أتقرأ القرآن؟ قال: لا. فقلت: من أين علمت؟ فقال: يا هذا؛ عَزَّ؛ فحكم، فقطع؛ ولو غفر فرحم لما قطع(١).

من هذا يتبين في شأن الإعجاز البلاغي أنَّه ما من فاصلة قرآنية إلا وسياق الآية يقتضي لفظها ومعناها، إذ لا يسهل في النظم الكريم أن يقع في مكانها سواها، ليس عدم اهتدائنا إلى سرِّها البياني قدحاً في موقعها وإنما قصور الإدراك فينا(٢).

أما مفسرنا رشيد الخطيب فقد وجدناه يذكر في مقدمة تفسيره عدداً من فوائد الفواصل وهي(٣):

- قد يختم -القرآن الكريم- الآية بفاصلة تؤيد مضمون ما قبلها، على مثل هذه الطريقة، كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ وأمثال ذلك فتكون كالبرهان. والتقرير لمضمون ما يسبقها من المقاصد والأغراض بطريقة التذكير بأسماء الله الحسنى وآثارها الملائمة للسياق.

وقد تأتي الفواصل للحمل على المقررات السابقة والحث على التمسك بها إيجاباً أو سلباً أمراً أو نهياً كقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(٤)، وكقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

---

(١) ينظر: الكشكول: ٢/١٤٢.

(٢) ينظر: الإعجاز البياني، ص٢٣٥-٢٥٨.

(٣) ص٢٤-٢٥ من المقدمة.

(٤) تعليق للشيخ رشيد: إذا نظرنا إلى جميع الأوامر والنواهي في القرآن المبين، وإلى جميع النداءات الإلهية للمؤمنين، رأيناها كلها تضع كلمة التقوى أو إحدى=

- وقد يطوي معاني ومقاصد يكتفي بالإشارة إليها بخواتم الآيات والتفكير بأسمائه الحسنى وآثارها.

وقد يأتي بالجملة ينهي بها السياق السابق ويمهد بها للسياق اللاحق معاً، أو يؤيد بها حكماً سابقاً ويمهد بها لحكم لاحق، على طريقة التأييد أيضاً.

وهذا يدل لنا على فهم رشيد للفاصلة القرآنية واهتمامه بذكرها في تفسيره فكان يُبين الفاصلة في أي موضع ترد فيه مُحللاً إياها ذاكر الغرض البلاغي الذي ترد فيه وعلاقتها بالآية التي سبقتها.

ففي قوله تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩]، قال رشيد مُبيناً العلاقة بين ما ورد في الآية ونهايتها ما نصه: «أي: فاصبر كما صبر نوح على قومه فإن سنة الله في رسله مع أقوامهم أن تكون العاقبة بالفوز والنجاة للمتقين.

وفي هذه الخاتمة وهذه الفاصلة أشار إلى أنَّ المراد من هذه القصة التأسي بنوح عليه السلام والتثبيت تجاه مشركي قريش، وكذلك القصص التابعة»[1].

وتتكرر في القرآن عند رؤوس الآيات عبارات: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، و﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾، و﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ فيعلق الشيخ في تفسيره عليها منبهاً على العلاقة الوثيقة بينها وبين المعنى المراد في الآية كما في عبارة: «أفلا تعقلون» في قوله تعالى: ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا

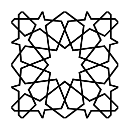
=مشتقاتها تمهيداً أو تذييلاً، لأنها الغاية من كل ذلك والباعث عليه. هامش ص٢٥ من المقدمة ، أول ما قيل.

(١) أولى ما قيل: ٢٤٢/٤.

﴿تَعۡقِلُونَ﴾ [يونس: ١٦]، فقال: «وفي هذه الفاصلة من لذعة التعنيف والتخجيل، بقدر ما فيها من لفت النظر إلى قوة الدليل»[(١)].

ومنه أيضاً ما جاء في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [آل عمران: ١٦٥]، فأجاز رشيد: «أن تكون هذه الفاصلة احتراساً عما يرد من سوء الفهم، تفيد أن إصابتهم بهذه المصيبة لم يكن عن عجز قدرة الله لنصرهم، فهو على كل شيء قدير، ولكنها جاءت على سنن الله الكونية»[(٢)].

وذكر رشيد الفاصلة القرآنية في مواضع متعددة من تفسيره[(٣)].



(١) أولى ما قيل : ١/١٨٨.

(٢) المصدر نفسه: ٢/٩١.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ١/١٢٥، ٤/١٦١، ٤/٢٣٦، ٥/٩٠، ٥/١٨٠.

الخاتمة

خلص البحث من خلال الدراسة المستفيضة لحياة عالم ومفسر كبير من علماء العالم الإسلامي إلى جملة من النتائج نذكر أهمها:

- كشف الشيخ رشيد في تفسيره أثر بلاغة القرآن الكريم في بيان سر إعجاز القرآن الكريم لاشتماله على النواحي الفكرية والاجتماعية والتربوية، وأخبار الماضي والمستقبل.

- عني الشيخ بعلم المعاني من نظم وخبر وإنشاء وغيرها، موضحاً في ذلك دقائق المعاني القرآنية، التي بها يبلغ النظم أعلى درجات الإعجاز وسر جمالية المفردة والجملة القرآنية.

- اعتنى الشيخ رشيد بفواصل الآي وتناسبها مع المعنى، رافضاً النظرة التقليدية إلى ما يسمى برعاية الفاصلة القرآنية.

- اعتنى الشيخ رشيد بعلم البيان ذاكراً أغلب تقسيماته، من غير اهتمام زائد بتسمياته الاصطلاحية.

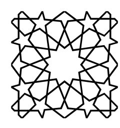
- أشار الشيخ رشيد إلى الصورة الفنية ورجَّح إفادته من كتاب (التصوير الفني في القرآن الكريم) كما أكّد على أثر المثل القرآني وفائدته في توضيح المعنى الجمالي للنص الحكيم.

- كانت للشيخ رشيد وقفات مع علم البديع وتقسيماته، ونبّه على الالتفات وأنواعه وأثرهُ البلاغي في كشف مواطن الجمال القرآني.

- انفرد الشيخ رشيد بكثير من التحليلات البلاغية التي لم يتنبه إليها كثير من المفسرين وكان بحق رائداً في مجال اختصاصه.

● يُعدُّ تفسير أولى ما قيل في آيات التتريل من التفاسير البلاغية والدلالية التي سارت على خطى الزمخشري ولكن بشيء من التجديد في الطرح والتناول.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين



المصادر

❖ القرآن الكريم.

- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، (ت٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، ط٣، ١٤٠٥هـ.

- إتمام الدراية لقراء النقاية، جلال الدين السيوطي، تحقيق: الشيخ إبراهيم العجوز، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد العمادي أبي السعود، (ت٩٥١هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت).

- أسرار البلاغة في علم البيان، عبد القاهر الجرجاني، ت ٤٧١هـ، صححها السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، (د.ت).

- الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز. عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، (ت٧٩٨هـ) ، دمشق ، ط٢ ، ١٩٩٧.

- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تأليف: محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي (ت١٩٩٧م)، دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع، جَدة، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

- الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، د. عائشة عبد الرحمن (ت١٩٩٨م)، دار المعارف، مصر، ١٩٧١م.

- إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، (ت٤٠٣هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة.

- الأعلام، خير الدين الزركلي (ت١٩٦٩م)، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٧٩م.

- الأغاني، أبي الفرج الأصفهاني (ت٦٩٨هـ)، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر، بيروت، ط٢، (د.ت).
- أنوار التنزيل في أسرار التأويل، ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر ابن محمد البيضاوي الشيرازي، (ت٧٩١هـ)، دار الفكر، بيروت.
- الإمداد شرح منظومة الإسناد، د. أكرم عبد الوهاب، مطبعة الزهراء، الموصل، (د.ت).
- أولى ما قيل في آيات التنزيل، رشيد الخطيب الموصلي (ت١٩٧٩م)، مؤسسة دار الكتب، جامعة الموصل، ١٩٧٣م، ١٩٧٤م.
- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط٥، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- الإيضاح في علوم البلاغة، محمد بن عبد الرحمن القزويني، (ت٧٣٩هـ)، دار إحياء العلوم، بيروت، ط٤، ١٩٩٨م.
- البحر المحيط، محمد بن يوسف أبي حيان الأندلسي، (ت٧٤٥هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، وشارك في التحقيق، د. زكريا عبد المجيد النوقي، د. أحمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
- البحر المديد، أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي (ت١١١٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
- بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي، (ت٧٢١هـ)، تحقيق: د. محمد مطرجي، دار الفكر، بيروت، (د.ت).

- البديع، عبد الله ابن المعتز، (ت٢٩٦هـ)، نشر وتعليق أفناطيوس كراتشكوفسكي، مطابع دار الشعب، القاهرة، ط١، ١٩٦٥م.

- البرهان في وجوه البيان، أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان ابن وهب الكاتب، تحقيق: د. أحمد مطلوب، د. خديجة الحديثي، بغداد، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م.

- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، (ت٧٩٤هـ)، تحقيق: أبي الفضل الدمياطي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، ط١٧، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

- البلاغة (تأصيل وتجديد) أمين الخولي (ت١٩٦٦م)، مطبعة البابي الحلبي، مصر ، ط١ ، ١٩٦٧م.

- بلاغة التراكيب دراسة في علم المعاني، أ.د. توفيق الفيل، مكتبة الآداب، القاهرة، (د.ت).

- البلاغة من منابعها (علم المعاني)، د. محمد هيثم غرّة، دار الرؤية للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط٢، ١٩٩٩م.

- البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر، الجاحظ، (ت٢٥٥هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، مطبعة المدني، ط٥، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

- تاريخ علماء الموصل، أحمد محمد مختار، مطبعة الزهراء، الموصل، ط٢، ١٩٨٤م.

- تأويل مشكل القرآن، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، (ت٢٧٦هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ط٢، ١٣٩٣هـ.

- التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن، عبد الواحد بن عبد الكريم الزملكاني، تحقيق: د. أحمد مطلوب، د. خديجة، بغداد، ١٣٨٣هـ-١٩٦٤م.

- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ابن أبي الإصبع المصري، تحقيق: د. حفني محمد شرف، القاهرة، ١٣٨٣هـ.

- التحرير والتنوير، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، (ت١٩٧٣م)، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

- التسهيل في علوم التنزيل، محمد بن أحمد ابن جزي الكلبي، (ت٧٤١هـ)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط١، ١٣٥٥هـ.

- التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، (د.ط)، (د.ت).

- تفسير المنار، الشيخ محمد عبدة (ت١٩٠٥م) مطبعة مصر الجديد، ط٢، ١٩٥٦م.

- تفسير الجلالين، محمد بن أحمد جلال الدين الحلبي، (ت٨٦٤هـ)، وعبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، (ت٩١١هـ)، دار الحديث، القاهرة، ط١، (د.ت).

- تفسير السراج المنير، محمد بن الخطيب الشربيني، شمس الدين، (ت٩٢١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

- تفسير القرآن العظيم، عماد الدين أبو الفداء ابن كثير، (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ.

- التفسير الكبير، الإمام فخر الدين الرازي، (ت٦٠٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
- التعريفات، للشريف الجرجاني، (ت٨٢٦هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٥-١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
- التلخيص في علوم البلاغة، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني، (ت٧٣٩هـ)، شرح عبد الرحمن البرقوقي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط٢، ١٩٣٤م.
- تهذيب السعد ترتيب لكتاب (مختصر المعاني)، مسعود بن عمر بن عبد الله سعد الدين التفتازاني، (ت٧٩١هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة حجازي، مصر، ط٣، ١٩٥٠م.
- تنوير الأذهان في تفسير روح البيان، إسماعيل حقي البروسوي، تحقيق: الشيخ محمد علي الصابوني، دار القلم، القاهرة، ط٢، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.
- جامع البيان في وجوه تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، (ت٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، (ت٦٧١هـ)، مطبعة دار الكتب المصرية، ط١، ١٩٥٦م.
- الجواهر الحسان في تفسير القرآن المسمى بتفسير الثعالبي، عبد الرحمن ابن محمد بن مخلوف الثعالبي، (ت٨٧٥هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، (د.ت).
- جوهر الكنز، نجم الدين أحمد بن إسماعيل بن الأثير الحلبي، تحقيق: د. محمد زغلول سلام، الإسكندرية، مصر، (د.ت).

- حاشية الدسوقي على شرح التفتازاني لتلخيص المفتاح ضمن كتاب شروح التلخيص، محمد بن أحمد ابن عرفة الدسوقي المالكي، القاهرة، ١٩٣٧م.
- الحجة، أبو علي الفارسي، القاهرة، (د.ت).
- حسن التوسل إلى صناعة الترسل، شهاب الدين محمود الحلبي، تحقيق: د. أكرم عثمان يوسف، بغداد، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
- حلية المحاضرة في صناعة الشعر، أبو علي محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي، تحقيق: د. جعفر الكتاني، بغداد، ١٩٧٩م.
- الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر، الجاحظ، (ت٢٥٥هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٩٦٩م.
- الخصائص، أبي الفتح عثمان ابن جني، (ت٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية العام، بغداد، ط٤، ١٩٩٠م.
- خزانة الأدب وغاية الإرب، أبي بكر تقي الدين الحموي، (ت٨٢٧هـ)، شرح: عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط٢، ١٩٩١م.
- خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم البيان، د. محمد أبو موسى، دار التضامن للطباعة، ط٢، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
- دراسات منهجية في علم البديع، د. الشحات محمد أبو سيت، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
- الدُّرُ المَصُون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، (ت٧٥٦هـ)، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، (د.ت).
- دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني، (ت٤٧١هـ)، تعليق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، مصر، (د.ت).

- ديوان النابغة الذبياني، صنعه ابن السكيت، تحقيق: شكري فيصل، دار الفكر، دمشق، ١٩٦٨م.

- رسالة في مواضيع مهمة، رشيد الخطيب الموصلي، مطبعة الجمهورية، الموصل، ١٩٧٩م.

- روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، شهاب الدين السيد محمود البغدادي الآلوسي، (ت١٢٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- زاد المسير في علم التفسير، أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي ابن محمد ابن الجوزي البغدادي، (ت٥٩٧هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٤هـ.

- زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، دار الفكر، (د.ت).

- سنن البيهقي الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

- شرح ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي المصري الهمذاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٩٨٥م.

- شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان، جلال الدين السيوطي، القاهرة، ١٣٥٨هـ-١٩٣٩م.

- الصاحبي في فقه اللغة، أبي الحسن أحمد بن زكريا أحمد بن فارس، (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: د. أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٩٧٧م.

- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم وحقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلوي، القاهرة، ١٣٣٢هـ-١٩١٤م.

- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، بهاء الدين السبكي، (شروح التلخيص)، القاهرة، ١٩٣٧م.

- علم المعاني، دراسة بلاغية ونقدية لمسائل علم المعاني، د. بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار، القاهرة، ط٣، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

- علم المعاني، د. عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، ط٢، ١٩٧٠م.

- العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده، ابن رشيق القيرواني، (ت٤٦٣هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة حجازي، مصر، ط١، ١٣٥٣هـ-١٩٣٤م.

- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

- قواعد الشعر، أبي العباس أحمد بن يحيى المعروف بثعلب، (ت٢٩١هـ)، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، القاهرة، ١٣٦٧هـ-١٩٤٨م.

- الفاصلة في القرآن، د. أحمد الحسناوي، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٨.

- فتح القدير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، (ت١٢٥٥هـ)، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

- الفروق في اللغة، أبي هلال العسكري، (ت٣٩٥هـ)، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١، ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.

- فنون بلاغية، د. أحمد مطلوب، نشر دار البحوث العلمية في الكويت، ط١، ١٩٧٥م.

- كتاب الصناعتين، لأبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري، (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، (د.ط)، (د.ت).

- كتاب الكليات، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

- الكتاب، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، (ت١٨٠هـ)، تحقيق: د. أميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٩م.

- الكشاف عن حقائق التتريل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، (ت٥٣٨هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت).

- الكشف والبيان، لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، (ت٥٩١هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

- لباب التأويل في معاني التتريل المعروف بتفسير الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، (ت٧٨١هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

- اللّباب في علوم الكتاب، أبي حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

-لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي، (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط٢، (د.ت).

-المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين ابن الأثير، (ت٦٣٧هـ)، تحقيق: د. أحمد الحوفي، ود. بدوي طبانة، دار الرفاعي، الرياض، ط٢، ١٩٨٣م.

-مجاز القرآن، أبي عبيدة معمر بن المثنى، (ت٢١٠هـ)، علق عليه: د. فؤاد سزكين، ط٢، مطبعة الخانجي، مصر، ١٩٨١.

-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبي محمد عبد الحق ابن عطية الغرناطي، (ت٥٤١هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

-مختصر المعاني، سعد الدين التفتازاني، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.

-مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، (ت٧٠١هـ)، دار مصر للطباعة والنشر، ط١، ١٩٧١م.

-المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

-معالم التنزيل، محمد الحسين بن مسعود البغوي، (ت٥١٦هـ)، حققه وخرَّج أحاديثه: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

-معاني الحروف، أبي الحسن علي بن عيسى الرماني، (ت٣٨٤هـ)، تحقيق: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار الشروق، جدة، ط٣، ١٩٨٤م.

- معاني القرآن، أبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، (ت٢٠٧هـ)، عالم الكتب، بيروت والدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، (د.ت).

- معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق إبراهيم بن السّري الزجاج، (ت٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، (د.ت).

- معاني القرآن الكريم، أبو جعفر النحاس، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٩هـ.

- معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين السيوطي، (ت٩١١هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٣م.

- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ج١، ١٩٨٣م، وج٢، ١٩٨٦، وج٣، ١٩٨٧م.

- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس، (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، (د.ت).

- مفتاح العلوم، أبي يعقوب محمد بن علي السكاكي، (ت٦٢٦هـ)، مطبعة المكتبة العلمية الجديدة، بيروت، (د.ت).

- المقتضب، أبو العباس المبرد، (ت٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨١م.

- من بلاغة القرآن، محمد الخضر حسين، مطبعة علي التونسي، مصر، ط٢، ١٩٨٥م.

- الميسر في البلاغة العربية، أبي عبد الله ابن شعيب الجزائري، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر، ط١، ١٩٩٢م.

- النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، مصر، ط٤، (د.ت).

- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، (ت٨٨٥هـ)، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

- نقد الشعر، أبي الفرج قدامة بن جعفر، (ت٣٣٧هـ)، تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٧٨م.

- النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، علي ابن عيسى الرماني، (ت٣٨٤هـ)، تحقيق: محمد زغلول سلام ومحمد خلف الله، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٩٦٨م.

- النكت والعيون المعروف بتفسير الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد ابن حبيب الماوردي البصري، (ت٥٦٧هـ)، تحقيق: السيد بن عبد المقصود ابن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز في علوم البلاغة وبيان إعجاز القرآن، فخر الدين محمد بن عمر الرازي، (ت٦٠٦هـ)، المطبعة البهية، مصر، ط١، ١٩٣٨م.

- الوجيز، أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، (ت٤٦٨هـ)، مطابع مصر للطباعة، القاهرة، ط١، ١٣١٥هـ.

- ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن، أبو عمرو محمد بن عبد الواحد البغدادي الزاهد المعروف بغلام ثعلب، (ت٣٤٥هـ)، تحقيق: محمد ابن يعقوب التركستاني، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

الرسائل الجامعية:

١- أسلوب القصر في القرآن الكريم، (أطروحة)، أحلام موسى حيدر الزهاوي، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، ١٩٩٩م.

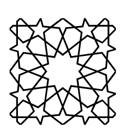
٢- الجزء الأول من تفسير القرآن العظيم المسمى أولى ما قيل في آيات التنزيل لرشيد الخطيب الموصلي، (ت١٤٠٠هـ)، دراسة وتحقيق، (رسالة)، هفال أحمد رحيم، كلية الإمام الأعظم، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٣- منهج رشيد الخطيب الموصلي في تفسير القرآن الكريم، (رسالة)، خالد محمد حماش، كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

المخطوطات:

١- مخطوط للشيخ رشيد الخطيب الموصلي يعرِّف به نفسه (مؤلف من ٤ صفحات) محفوظة لدى حفيده أثيل النجفي.

٢- مخطوط للشيخ رشيد الخطيب الموصلي يعرِّف به نفسه وأباه وجده وشيخه (مؤلف من ١٠ صفحات) محفوظة لدى حفيده أثيل النجفي.



المحتويات